قوة الكلمات وتأثيرها
في تغيير مجرى حياتك
وضمان سعادتك وصحتك

الدكتور
خالد بن علي بن محمد العنبري

ردمك

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م

توزيع مؤسسة الجريسي

ص.ب ١٤٠٥ - الرياض ١١٤٣١

هاتف ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (سورة إبراهيم، الآيات ٢٤ - ٢٦)

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» حديث متفق على صحته

«إني لأجد نفسي تحدثني بالشئ، فما يمنعني أن أتكلم به إلا مخافة أن أبتلى به» إبراهيم النخعي

«لا تستشرفوا البلية، فإنها مولعة بمن يشرف لها، إن البلاء مولع بالكلم» ابن مسعود

«نحن نعيش في محيط من الكلمات، لكن مثل السمك في الماء غالبا ما لا نكون على وعي به»

«لن ترتفع أبداً فوق مستوى كلماتك»

«الصحة فى لسانك»

«نحن نتاج كلامنا»

١- كيف سيغير هذا الكتاب من حياتك؟

إن هذه الكلمات التي ننطقها بألسنتنا، ونكتبها بأقلامنا، ونعبر بها عما يجيش في أنفسنا، قدّر الله تعالى ـ بحكمته البالغة ـ أن يكون لها قوة هائلة، وتأثير كبير، في تغيير مجرى الحياة، وبناء المستقبل، وجلب السعادة أو الشقاوة، والصحة أو المرض، والثراء أو الفقر!

إن الإنسان أخطر وأعقد بكثير مما يعرف عن نفسه! ولقد لاحظ العلماء أن ثمة علاقة وثيقة بين نوعية الكلمات التي يستخدمها الشخص وبين النجاح الذي يمكن أن يحققه في الحياة، ومنذ فجر الإنسانية تميزت الكلمات بهالة من الغموض والقوة، عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها، إنها ترسانة أسلحة، وطاقة عظيمة غريبة لا ندرك حدودها ولا آفاقها!

وهؤلاء الذين يعرفون ما حظيت به الكلمات من قدرة تأثيرية هائلة، ويستعملون هذه القوة للتأثير على النفوس والعقول، وتحقيق الأهداف والأمنيات، إنما يستغلون هبة خطيرة منحها الله للبشرية جميعا، وينتفعون بقانون عظيم أودعه الله في كونه الواسع الكبير.

فالكلمات منحة أو محنة، نعمة أو نقمة، عطاء أو بلاء!

فكم أسعدت من أناس، وأشقت آخرين؟!

كم حققت من أحلام، ونسفت من أمال؟!

كم وضعت من عقبات، وأزالت من معوقات؟!
كم أزهقت من أنفس، وأحقنت من دماء؟!
وكم أحضرت من نعم، ودفعت من نقم؟!
ومن أمثلة العرب: رب كلمةٍ سلبتْ نعمة، وجلبت نقمة؟!
ومن أمثلتهم: «رُب كلمةٍ تقول لصاحبها دعني»
الكلمات: سعادة أوشقاء، رحمة أو لعنة، تيسير أو تعسير!
الكلمات: محبة أو عداوة، حرب أو سلام، تشييد أو دمار!
الكلمات: زواج أو طلاق، كفر أو إيمان، جنة أو نار!
الكلمات: أول ما علّم آدمَ ربُنا!
الكلمات: تلقاها آدم من ربه فتاب عليه!
الكلمات: بها ابتلى إبراهيم ربه!
الكلمات: أعظم معجزات الرسل!
اصْطُفي كليم الله... بالكلمات!
وتكوين الأشياء... بالكلمات!
وعطاء الله... بالكلمات!
وعذاب الله... بالكلمات!
أسرُ القلوب... واستحلالُ الفروج... بالكلمات!
الصحة.. العافية.. الثراء.. المال.. الجمال.. الرزق.. الصدق.. الأمانة.. التوفيق.. السداد.. راحة البال.. الهناء.. السكينة.. الهدوء.. الخير.. اليسر.. والبركات.. بالكلمات!

المرض.. الألم.. الفقر.. الجوع.. الفشل.. الخيبة.. الحسرة.. الحزن.. العسر.. القلق.. التوتر.. الجهل.. الخراب.. الدمار.. البلاء.. كل ذلك «موكول بالكلمات!»

بالكلمات.. تستطيع أن تسعد نفسك أو أن تشقيها «فقل خيرا أو اصمت» ولا تجني على نفسك!

بالكلمات.. تدخل الأمل والسرور على غيرك، أو تولج عليه الإحباط والهموم والأنكاد.. فأحب لغيرك ما تحب لنفسك!

بإيجاز من القول: فإن جميع ما ذكرته سابقاً من إيجابيات أو خيرات يمكن أن تجلبه إلى نفسك بالكلمات، كما أن كل ما كُتب آنفاً من شرور وأسواء تستطيع أن تتحاشاه بالكلمات، وهو أمر سهل غاية، فليس أيسر على الإنسان من الكلام، وماذا عليك لو أجملت منطق اللسان وأحسنته، وتجنبت شؤم القول وسيئه!

فلله في مخلوقاته قوانين وسنن، لا تتبدل ولا تتحول، من هذه القوانين وتلك السنن: أن الله سبحانه جعل للكلمات قوة حقيقية، وتأثيراً فعالاً في الأشخاص والأحداث والأشياء إيجاباً وسلباً، خيراً وشراً، نفعاً وضراً، كل ذلك بإذن الرب تعالى ومشيئته، جميع ذلك مرتبط بالقدر خيره وشره، فلا يخرج شئ في كونه عن أمره، ولا يعزب عن علمه، يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد!

ولذلك حفلت نصوص الكتاب والسنة بأمر الناس بالقول الحسن والكلم الطيب، ونهيهم عن الكلمات الخبيثة والألفاظ الشنيعة، وبلغ من

كثرة عددها وشدة كثافتها بحيثُ كُتبت في مجالها المؤلفات العديدة، وبينت هذه المصنفات عواقب الكلمات الطيبة وشؤم الأقوال المستخبثة في الحياة الدنيا والآخرة، كما حفلت تلك النصوص المباركة بالكلمات الإيجابية المؤثرة في النفس الإنسانية، والتي تجلب الفوز والسعادة وراحة البال، وتحقق الكفاية والعافية والحفظ من الشرور والأضرار، كما ترى ذلك واضحاً على سبيل المثال في أذكار الصباح والمساء، ووظائف اليوم والليلة، والصلوات، وسائر المناسبات.

لقد جاء العلم الحديث بكشوفات علمية هائلة في الكون والآفاق، تتوافق مع القرآن الكريم، وذهب العجب بالناس كل مذهب، وأسلم كثيرون، وانطلق العلماء والباحثون يظهرون ألوان الإعجاز العلمي في آياته العظيمة...عبر مسارات متعددة، فألفت الكتب، وسطرت المقالات، وسارت المجلات المتخصصة، وعقدت المؤتمرات العلمية، وأقيمت المحاضرات الدعوية، بل شيدت الرابطات والمؤسسات العلمية .

إن الأمر نفسه قد حدث في مجال علم النفس والتنمية البشرية، فقد جاء علماؤه الغربيون بكشوفات علمية خطيرة في أسرار النفس الإنسانية وأغوارها ودهاليزها، تتوافق مع النصوص الإسلامية، بيد أن القليل من الباحثين من اهتم بالإعجاز العلمي في الأنفس وتطوير الذات!، ثم إن بعض هؤلاء المهتمين، ليس جميعهم، يجترّون إلى الساحة الإسلامية جُل ما يلقون في طريقهم، يحاولون أسلمته دون عرضه على الحكمين

العدلين، أعني الوحيين الشريفين، وكشف ما فيه من زيف، والأعجب من ذلك أنهم يفسرون بعض نصوص الوحيين بما يتوافق مع ما يجترون، وهذا مسلك جدُّ خطير، إذ الواجب الشرعي يحتم على الباحث المسلم أن ينطلق من الإسلام الأول بمفاهيمه التوسطية الصحيحة في بيان الحق وهداية الإنسانية.

سترى عبر هذا الصفحات بالبراهين والأدلة أن الكلمات تؤثر بشكل كبير في الإنسان والحيوان والنبات والماء، ومن ثم فأنت تستطيع بالكلمات أن تستفيد من كلّ ما حولك، وأن تجعله يعمل لصالحك وليس ضدك، وأن تجلب لنفسك بإذن الله السعادة وراحة البال والمال والثراء والشفاء والصحة والعمر المديد، على أنه لابد أن تعتقد أن الكلمات لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله سبحانه، وإذنه ومشيئته!، والأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ فِي المُخْلُوقَاتِ شَيْءٌ هُوَ وَحْدَهُ عِلَّةٌ تَامَّةٌ وَسَبَبٌ تَامٌّ لِلْحَوَادِثِ بِمَعْنَى أَنَّ وُجُودَهُ مُسْتَلْزِمٌ لِوُجُودِ الْحَوَادِثِ بَلْ لَيْسَ هَذَا إلَّا مَشِيئَةُ الله تَعَالَى خَاصَّةً فَمَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَمَّا الْأَسْبَابُ المُخْلُوقَةُ كَالنَّارِ فِي الْإِحْرَاقِ وَالشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْإِشْبَاعِ وَالْإِرْوَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَجَمِيعُ هَذِهِ الْأُمُورِ سَبَبٌ لَا يَكُونُ الحَادِثُ بِهِ وَحْدَهُ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَنْضَمَّ إلَيْهِ سَبَبٌ آخَرُ، وَمَعَ هَذَا فَلَهُمَا مَوَانِعُ تَمْنَعُهُمَا عَنْ الْأَثَرِ، فَكُلُّ سَبَبٍ فَهُوَ مَوْقُوفٌ

عَلَى وُجُودِ الشُّرُوطِ وَانْتِفَاءِ المُوَانِعِ وَلَيْسَ فِي المُخْلُوقَاتِ وَاحِدٌ يَصْدُرُ عَنْهُ وَحْدَهُ شَيْءٌ . وَهَذَا مِمَّا يُبَيِّنُ لَكَ خَطَأَ المُتَفَلْسِفَةِ .. ».

ومن السهل أن تقتنع بكل ما يذكره لك هذا الكتاب مما هو غريب عليك، وكيف لا وهو مبني على أدلة شرعية صحيحة، وبراهين عقلية صريحة، وتجارب علمية مثيرة! ولا أبالغ في القول بأن التوفيق قد حالفك حين عزمت على قراءته، لأنه سيغير حياتك إذا عزمت على تغيير كلماتك إلى التي هي أطيب وأحسن، لتوصلك ـ بتقدير الله ـ إلى كل ما هو أولى وأقوم، وهو أمر من اليسر بمكان، دالٌّ على عظيم قدرة المنان، وسعة رحمته بالإنسان.

ولتهنأ أخيراً بحياة جديدة، وسعادة غامرة، ومستقبل رائع، وعلاقات ناجحة، بإذن الله، وها أنا ذا أتركك الآن لتستمتع بتصفح الكتاب!

سطره في الرياض

الدكتور خالد العنبري

بتاريخ (١٤٣٠/٦/٢١هـ ـ ٢٠٠٩/٦/١٤م)

٢- نعمة الكلمات

النطق بالكلمات منحة كبرى امتن الله سبحانه بها على البشرية، لم يودعها فيهم عبثا، ولم يخلقها سدى، فبالكلمات يتواصلون ويتفاهمون، ويكونون العلاقات والثقافات، ويقيمون العلوم والفنون والحضارات، وباختصار كبير: فإن حياة الناس لا تقوم إلا بالكلمات، فهي مادة الحياة، ومصدر الطاقة، ووعاء العلم والحكمة والتجارب، ولذلك قال تعالى ممتناً «بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين، على اختلاف مخارجها وأنواعها»[1].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ الرحمن ١-٤

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ البقرة: ٣١.

قال ابن كثير: «والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها: ذواتها وأفعالها.. ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من كتاب التفسير من صحيحه: .. عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ .. قال: «جتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا؟ فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ().

أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا»[1].

وما كان هذا التعليم عبثاً، ولذلك كانت الكلمات أمانة ومسؤولية، من أداها سعد وأسعد، ومن فرط فيها هلك وأهلك.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ ق: ١٨

وهذه النصوص الشرعية وغيرها تبين بوضوح أن الكلمات نعمة عظيمة شأنها شأن النعم كلها، إذا أحسن الإنسان استخدامها، سعد سعادة كبيرة في الدنيا والآخرة، فيستطيع بالكلمات أن يرضي ربه، وأن يكسب حسنات كالجبال، كما سيسهل عليه أن يرضي الناس، وأن يكوّن علاقات رائعة، وأن يحفظ نفسه ومن يعول من كل الشرور والآفات، وأن يجلب لنفسه ولغيره كل الخيرات.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ـ (١/ ٢٢٣).

٣- قوة الكلمات لغة

من العجيب واللطيف في آن واحد: أن المادة اللغوية للكلمات: حروف: (ك ل م) تدل على القوة أينما صرفت، وهذا بحث لغوي غاية في الطرفة، نختصره من خصائص ابن جني:

(وأما «**ك ل م**» فهذه حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة! والمستعمل منها أصول خمسة، وهي: «**ك ل م**» «**ك م ل**» «**ل ك م**» «**م ك ل**» «**م ل ك**» وأهملت منه «**ل م ك**»، فلم تأت في ثبت.

فمن ذلك الأصل الأول «ك ل م» منه الكلم للجرح. وذلك للشدة التي فيه!

وقالوا في قول الله سبحانه: ﴿ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ النمل: ٨٢ قولين:

أحدهما من الكَلام .

والآخر من الكِلام أي تجرحهم وتأكلهم...

ومنه الكلام، وذلك أنه سبب لكل شر وشدة في أكثر الأمر..

الثاني «ك م ل» من ذلك كمَل الشيء وكمُل وكمِل فهو كامل وكميل، وعليه بقية تصرفه، والتقاؤهما أن الشيء إذا تم وكمل كان حينئذ أقوى وأشد منه إذا كان ناقصاً غير كامل.

الثالث «ل ك م» منه اللكم إذا وجأت الرجل ونحوه، ولا شك في شدة ما هذه سبيله.

الرابع «م ك ل» منه بئر مكول، إذا قل ماؤها، قال القطامي:

كأنها قلب عادية مكل

والتقاؤهما أن البئر موضوعة الأمر على جمتها بالماء، فإذا قل ماؤها كره موردها، وجفا جانبها، وتلك شدة ظاهرة.

الخامس «م ل ك».. وذلك قوة وقدرة من المالك على ملكه، ومنه الملك، لما يعطى صاحبه من القوة والغلبة..)[1].

(١) الخصائص: (١/ ٣).

٤- الأدلة على قوة الكلمات وتأثيرها

والأدلة على أن للكلمات قوةً وتأثيراً من الكثرة والتنوع بمكان، من نصوص شرعية، وتجارب علمية، وشواهد عينية، مبثوثة متناثرة في فصول هذا الكتاب، لولا خوف الإطالة، وملل الإعادة، لسردناها كلها في فصلنا هذا، يبد أنه لا بأس أن نبادرك ببعضها، ونعجل إليك بأهمها:

١ـ دخل النبي صلى الله عليه وسلم على رجل من أهل البادية يعوده وهو ينتفض من الحمى، وكان من عادته ص إذا دخل على مريض يعوده أن يقول له: لا بأس عليك طهور إن شاء الله، أي لا مشقة ولا تعب عليك من هذا المرض بالحقيقة؛ لأنه يطهر من الذنوب، يكفر الخطايا، غير أن الأعرابي لم يقبل بشارة النبي صلى الله عليه وسلم وتفاؤله بشفائه من هذا المرض لجفائه وغلظته، ولذلك ردّ قائلاً: ليس الأمر كما قلت يا محمد، بل هي حمى تغلي في بدني كغلي القدور ستجعلني من أهل القبور، فبين له عليه السلام بأن الأمر كما تقول، وسوف يحصل لك ما تكلمت به، وأن هذا مرتبط بقضاء الله، فمات الرجل بسبب كلماته التي حكم بها على نفسه.

وهاك نص الحديث من أصح الكتب بعد القرآن الكريم أعني صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

«أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ. فَقَالَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إن شَاءَ الله، فقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: طَهُورٌ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، كَيْمَا تُزِيرَهُ الْقُبُورَ! قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَنَعَمْ إِذًا»[1].

وقد أَخرجه الطبراني والدولابي، وَفِي آخِره: «أما إذا أبيت فهو كما تقول، وما قضى الله من أمر فهو كائن» قال: فما أمسى الرجل من غد إلا ميتا»[2].

في هذا الحديث وتعليق العلماء عليه في شروح دواوين السنة دلالة ظاهرة، وبرهان كبير على أن الله بحكمته البالغة التي لا تدركها عقولنا القاصرة قد جعل في الكلمات التي نتفوه بها قوةً هائلة وتأثيراً كبيراً بإذنه ومشيئته، وأن كل ذلك مرتبط بما قضاه وقدره، وليس بخارج عما كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

هذا وقد استنبط العلامة المهلب من هذا الحديث: «أن السنة أن يخاطب العليل بما يسليه من ألمه.. ولا يتركه إلى نزعات الشيطان والسخط، فربما جازاه الله بالتسخط وبسوء الظن عقابًا، فيوافق قدرًا

(١) أخرجه البخاري: (٥٢٢٤) (٥٢٣٠) وانظر شرح الحديث: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:(٥/ ٢٥٣).

(٢) الكنى والأسماء للدولابي ـ (٢/ ٢٤١).

يكون سببًا إلى أن يحل به ما لفظ به من الموت الذى حكم على نفسه»[1].

دليل آخر:

٢ـ ومن البراهين المؤكدة أن للكلمات قوةً تأثيرية بإذن الله، ما ثبت في صحيح مسلم من نهي صاحب الشريعة أن يعيب المسلمُ الناسَ ويذمهم، ويؤيسهم من سعة رحمة الله وكثير عفوه، فيذكر قبائحهم وسوء أعمالهم، ويقول على سبيل المثال: فسد الناس، وهلكوا، واستوجبوا النار وغضب الجبار، ونحو ذلك من الكلمات السلبية التي تؤدي بقائلها إلى أن يكون من أرداهم وأشدهم هلاكاً!

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»[2].

قال النووي رحمه الله: «روي (أهلكهم) على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر، ويؤيده أنه جاء في رواية رويناها في حلية الأولياء في ترجمة سفيان الثوري (فهو من أهلكهم).

قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: الرفع أشهر، ومعناها أشدهم هلاكا، وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة.

---

(١) شرح البخاري لابن بطال ـ (١٧/ ٤٧٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٧٥٥).

قال الخطابي: معناه لا يزال الرجل يعيب الناس، ويذكر مساويهم، ويقول: فسد الناس، وهلكوا، ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم أي أسوأ حالا منهم..»[1].

دليل ثالث:

٣ـ في الحديث المتفق على صحته عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي»[2].

قال علماء اللغة وغريب الحديث: لَقِسَتْ وَخَبُثَتْ بمعنى واحد، وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم، وعلمهم الأدب في الألفاظ واستعمال حسنها وهجران خبيثها!

قالوا: ومعنى لقست غثت.

وقال ابن الأعرابي: معناه ضاقت.

ولا يعترض هذا بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : في الذي ينام عن الصلاة: « أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ »[3]؟!

لأنَّ محل النهي أن يضيف المتكلم الخبث إلى نفسه، لا أن يتكلم

---

(١) شرح النووي على مسلم ـ (٨/ ٤٦٣) وانظر: النهاية في غريب الأثر ـ (٥/ ٦٢٨)، الديباج على مسلم ـ (٥/ ٥٤٤).

(٢) البخاري رقم (٥٧١١) من حديث عائشة، ومسلم رقم (٤١٨١)، من حديث سهل بن حنيف.

(٣) البخاري: (١١٤٢) ومسلم: (١٨٥٥).

بالخبيث مطلقًا، فاذا أخبر به عن غير معيَّن جاز، ولا سيما في معرض التحذير والذم للكسل والتثاقل عن الطاعات، كما قد جاء في هذا الحديث»[1].

«وقد نطق القرآن بهذه اللفظة فقال تعالى ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ إبراهيم: ٢٦.. لكن لم يرد ذلك إلا في معرض الذم، فلا ينافي ذلك ما دل عليه حديث الباب من كراهة وصف الإنسان نفسه بذلك.

وقال ابن أبي جمرة: النهي عن ذلك للندب، والأمر بقوله «لقست» للندب أيضا، فإن عبر بما يؤدي معناه كفى، ولكن ترك الأولى.

قال: ويؤخذ من الحديث استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة والأسماء، والعدول إلى ما لا قبح فيه، والخبث واللقس وإن كان المعنى المراد يتأدى بكل منهما، لكن لفظ الخبث قبيح ويجمع أمورا زائدة على المراد، بخلاف اللقس فإنه يختص بامتلاء المعدة.

قال: وفيه أن المرء يطلب الخير حتى بالفأل الحسن، ويضيف الخير إلى نفسه ولو بنسبة ما، ويدفع الشر عن نفسه مهما أمكن، ويقطع الوصلة بينه وبين أهل الشر حتى في الألفاظ المشتركة.

قال: ويلتحق بهذا أن الضعيف إذا سئل عن حاله لا يقول: لست بطيب بل يقول: ضعيف، ولا يخرج نفسه من الطيبين فيلحقها

(١) انظر: المفهم (٨/ ٦٧)، شرح النووي على مسلم ـ (٧/ ٤٣٦).

بالخبيثين[1].

دليل رابع:

٤ - وفي حديث سمرة بن جندب: «نَهَانَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُسَمِّيَ رَقِيقَنَا بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ أَفْلَحَ وَرَبَاحٍ وَيَسَارٍ وَنَافِعٍ».

وفي رواية: «وَلَا تُسَمِّيَنَّ غُلَامَكَ يَسَارًا وَلَا رَبَاحًا وَلَا نَجِيحًا وَلَا أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تَقُولُ أَثَمَّ هُوَ فَلَا يَكُونُ فَيَقُولُ لَا»[2].

١- «غلامك أي صبيك أو عبدك.

٢- يسارا من اليسر ضد العسر.

٣- ولا رباحا بفتح من الربح ضد الخسارة.

٤- ولا نجيحا من النجح وهو الظفر.

٥- ولا أفلح من الفلاح وهو الفوز.

فإنك تقول ـ أي أحيانا ـ: أَثَمَّ.. أي أهناك هو؟ ـ أي المسمى بأحد هذه الأسماء المذكورة ـ فلا يكون، أي فلا يوجد هو في ذلك المكان اتفاقا، فيقول (أي المجيب): لا. أي ليس هناك يسار، أو لا رباح عندنا، أو لا نجيح هناك، أو لا أفلح موجود، فلا يحسن مثل هذا في التفاؤل، أو فيكره لشناعة الجواب.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ـ (١٧/ ٣٧٧).

(٢) رواه مسلم: (٣٩٨٥).

في شرح السنة معنى هذا أن الناس يقصدون بهذه الأسماء للتفاؤل بحسن ألفاظها أو معانيها، وربما ينقلب عليهم ما قصدوه إلى الضد إذا سألوا فقالوا أثم يسار أو نجيح فقيل: لا، فتطيروا بنفيه، وأضمروا اليأس من اليسر وغيره، فنهاهم عن السبب الذي يجلب سوء الظن والإياس من الخير.

قال حميد بن زنجويه: فإذا ابتلى رجل في نفسه أو أهله ببعض هذه الأسماء، فليحوله إلى غيره، فإن لم يفعل وقيل: أثم يسار أو بركة، فإن من الأدب أن يقال: كل ما هنا يسر وبركة، والحمد لله، ويوشك أن يأتي الذي تريده، ولا يقال: ليس هنا ولا خرج، والله أعلم»[1].

دليل خامس:

عن أبي المُلِيح عن أبيه رضي الله عنه، قال: «كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ[2]. فَقَالَ: لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ[3]. حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي[4]، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ الله، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ـ (١٤/ ٢٥).

(٢) (تعس): أي هلك ومثل هذا الكلام يوهم أن للشيطان دخلا في مثل ذلك.

(٣) (تعاظم): أي صار عظيما وكبيرا..

(٤) (ويقول بقوتي): أي حدث ذلك الأمر بقوتي..

الذُّبَابِ»[1].

وفي كتب المناهي اللفظية جملة كبيرة من أحاديث السنة الشريفة، تنهى الإنسان عن التلفظ بكلمات معينة، وتسمح في الوقت نفسه بكلمات أخرى مرادفة لها، تحمل المعاني نفسها، وفي هذه الأحاديث الناهية دلالة واضحة على أن لهذه الكلمات تأثيراً سلبياً.

وفيما مضى يتجلى بوضوح تام، أن الله سبحانه جعل للكلمات تأثيراً فعالاً في حصول الأشياء، وتكوين الأحداث، وجلب المنافع، ودفع المضار، وأن جميع ذلك مرتبط بقضاء الله وقدره، لا يخرج عنه البتة!

ومما لا ريب يعتريه أن من عرف هذا القانون الخطير، عرف سرا عظيما من أسرار السعادة، واستطاع أن يختار لنفسه بنفسه ما يريد، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ الكهف: ٤٩ !

(١) حديث صحيح رواه أبو داود: (٤٣٣٠).

٥- تأثير الأسماء

يظن الكثيرون من الناس أن الأسماء تأتي صدفة، ويحسبون أنه ليس ثمة أي علاقة بين الاسم وبين صفات الإنسان وطبائعه ومزاجه ومستقبله، كما يتوهمون أنه ليس هناك أي ارتباط بين أسماء الشعوب والقبائل وطبائع أفرادها وخصالهم وأحوالهم، إن كل ما في الكون أبدعه الله وقدره تقديراً محكماً، ومن ثم فلا مصادفة في اختيار أسماء الشخوص والشعوب والقبائل والقرى والمدن والدول!

وفي كتاب الله [سورة القمر: ٤٩]: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾.

وفي [الفرقان:٢]: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾.

وإذا كان للكلمات طاقة وقوة وتأثير، فالأسماء كذلك لها تأثير قوي في أصحابها، وفي من يتصل بها ويتعامل معها، نفعاً وضراً، إيجاباً وسلباً، سعادة وشقاوةً، يسراً وعسراً، فرجاً وكرباً، فرحاً وحزناً، بركة ومحقاً، فثمة ارتباط كبير بين الأسماء والمسميات، ولطالما دلت الأسماء على الشخصيات، وما لها من صفات وأمزجة وطبائع وتركيبات، وما يتوقع منها من مواقف وردود أفعال وتصرفات، وفي أمثالنا الدارجة: «لكل امرئ من اسمه نصيب»، وهو أمر حقٌ عجيب!

وما من شك أن هذه السنة الكونية إنما هي على سبيل الأعم الأغلب،

وفي تقرير هذه الحقيقة الكبيرة، يفصل الإمام ابن قيم الجوزية، فيقول في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد) «فصل في هديه في الأسماء والكنى: فقه هذا الباب»:

«لما كانت الأسماء قوالب للمعاني، ودالة عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب، وأن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثر عن أسمائها في الحسن والقبح والخفة والثقل واللطافة والكثافة كما قيل:

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

وكان صلى الله عليه وسلم يستحب الاسم الحسن.. وكان يأخذ المعاني من أسمائها في المنام واليقظة، كما رأى أنه وأصحابه في دار عقبة بن رافع، فأتوا برطب من رطب ابن طاب، فأوله بأن لهم الرفعة في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن الدين الذي قد اختاره الله لهم قد أرطب وطاب[1]، وتأول سهولة أمرهم يوم الحديبية من مجيء سهيل بن عمرو إليه...

ولما كان بين الأسماء والمسميات من الارتباط والتناسب والقرابة

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم: (٢٢٧٠).

ما بين قوالب الأشياء وحقائقها، وما بين الأرواح والأجسام عبر العقل من كل منهما إلى الآخر، كما كان إياس بن معاوية وغيره يرى الشخص فيقول: ينبغي أن يكون اسمه كيت وكيت، فلا يكاد يخطئ.

وضد هذا العبور من الاسم إلى مسماه، كما سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا عن اسمه فقال: جمرة، فقال: واسم أبيك؟ قال: شهاب، قال: ممن؟ قال من الحرقة، قال فمنزلك؟ قال بحرة النار، قال: فأين مسكنك؟ قال: بذات لظى، قال: اذهب فقد احترق مسكنك، فذهب فوجد الأمر كذلك! فعبر عمر من الألفاظ إلى أرواحها ومعانيها، كما عبر النبي صلى الله عليه وسلم من اسم سهيل إلى سهولة أمرهم يوم الحديبية، فكان الأمر كذلك.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بتحسين أسمائهم وأخبر أنهم يدعون يوم القيامة بها، وفي هذا ـ والله أعلم ـ تنبيه على تحسين الأفعال المناسبة لتحسين الأسماء لتكون الدعوة على رءوس الأشهاد بالاسم الحسن والوصف المناسب له.

وتأمل كيف اشتق للنبي صلى الله عليه وسلم من وصفه اسمان مطابقان لمعناه وهما أحمد ومحمد، فهو لكثرة ما فيه من الصفات المحمودة محمد، ولشرفها وفضلها على صفات غيره أحمد ، فارتبط الاسم بالمسمى ارتباط الروح بالجسد!

وكذلك تكنيته صلى الله عليه وسلم لأبي الحكم بن هشام بأبي جهل كنية مطابقة لوصفه ومعناه، وهو أحق الخلق بهذه الكنية، وكذلك تكنية الله عز وجل لعبد العزى بأبي لهب، لما كان مصيره إلى نار ذات لهب، كانت هذه الكنية أليق به وأوفق، وهو بها أحق وأخلق.

ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، واسمها يثرب لا تعرف بغير هذا الاسم غيره بطيبة، لما زال عنها ما في لفظ يثرب من التثريب بما في معنى طيبة من الطيب، استحقت هذا الاسم وازدادت به طيبا آخر، فأثر طيبها في استحقاق الاسم، وزادها طيبا إلى طيبها...

وتأمل أسماء الستة المتبارزين يوم بدر، كيف اقتضى القدر مطابقة أسمائهم لأحوالهم يومئذ، فكان الكفار شيبة وعتبة والوليد ثلاثة أسماء من الضعف، فالوليد له بداية الضعف، وشيبة له نهاية الضعف كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ الروم: ٥٤، وعتبة من العتب، فدلت أسماؤهم على عتب يحل بهم، وضعف ينالهم وكان أقرانهم من المسلمين علي وعبيدة والحارث رضي الله عنهم ثلاثة أسماء تناسب أوصافهم، وهي العلو والعبودية والسعي الذي هو الحرث، فعلوا عليهم بعبوديتهم وسعيهم في حرث الآخرة.

ولما كان الاسم مقتضيا لمسماه ومؤثرا فيه، كان أحب الأسماء إلى الله ما اقتضى أحب الأوصاف إليه كعبد الله وعبد الرحمن، وكان إضافة العبودية إلى اسم الله واسم الرحمن أحب إليه من إضافتها إلى غيرهما، كالقاهر والقادر، فعبد الرحمن أحب إليه من عبد القادر، وعبد الله أحب إليه من عبد ربه، وهذا لأن التعلق الذي بين العبد وبين الله إنما هو العبودية المحضة، والتعلق الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضة، فبرحمته كان وجوده وكمال وجوده، والغاية التي أوجده لأجلها أن يتأله له وحده محبة وخوفا ورجاء وإجلالا وتعظيما، فيكون عبدا لله وقد عبده لما في اسم الله من معنى الإلهية التي يستحيل أن تكون لغيره، ولما غلبت رحمته غضبه وكانت الرحمة أحب إليه من الغضب، كان عبد الرحمن أحب إليه من عبد القاهر.

ولما كان كل عبد متحركا بالإرادة، والهم مبدأ الإرادة، ويترتب على إرادته حركته وكسبه كان أصدق الأسماء اسم همام واسم حارث، إذ لا ينفك مسماهما حقيقة معناهما.

ولما كان الملك الحق لله وحده، ولا ملك على الحقيقة سواه، كان أخنع اسم وأوضعه عند الله وأغضبه له اسم «شاهان شاه» أي ملك الملوك وسلطان السلاطين، فإن ذلك ليس لأحد غير الله، فتسمية غيره بهذا من أبطل الباطل، والله لا يحب الباطل.

وقد ألحق بعض أهل العلم بهذا « قاضي القضاة» وقال: ليس قاضي القضاة إلا من يقضي الحق وهو خير الفاصلين الذي إذا قضى أمرا، فإنما يقول له كن فيكون.

ويلي هذا الاسم في الكراهة والقبح والكذب سيد الناس وسيد الكل، وليس ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، كما قال «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»، فلا يجوز لأحد قط أن يقول عن غيره: إنه سيد الناس وسيد الكل، كما لا يجوز أن يقول: إنه سيد ولد آدم.

ولما كان مسمى الحرب والمرة أكره شيء للنفوس وأقبحها عندها، كان أقبح الأسماء حربا ومرة وعلى قياس هذا حنظلة وحزن وما أشبههما، وما أجدر هذه الأسماء بتأثيرها في مسمياتها، كما أثر اسم «حزن» الحزونة في سعيد بن المسيب وأهل بيته[1].

وفي تحفة المولود يقرر الحقيقة نفسها، فيقول ابن القيم: «وإذا أردت أن تعرف تأثير الأسماء في مسمياتها فتأمل حديث سعيد ابن المسيب عن أبيه عن جده قال: أتيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما اسمك؟ قلت: حَزَن، فقال: أنت سهل، قال: لا أغيّر اسماً سمانيه أبي.

قال ابن المسيب: فما زالت تلك الحزونة فينا بعد.

رواه البخاري رحمه الله في صحيحه، والحزونة: هي الغلظة، ومنه

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ـ (٢/ ٣٠٧).

أرض حزنة وأرض سهلة..

وهذا الحسين رضي الله عنه لما نزل وأصحابه بكربلاء، سأل عن اسمها فقيل كربلاء فقال: كربٌ وبلاء..!!

ومن إهتمامه صلى الله عليه وسلم بالأسماء وأثرها على الأشخاص تغييره لأسماء من حوله ومن يفدون إليه إلى أسماء حسنة المعنى غير مكروهة أو فيها تزكية...

فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن زينب كان اسمها برَّة، فقيل تزكي نفسها، فسمَّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب...

كما ورد عن ابن عمر أن النبي غيّر اسم عاصية وقال أنت جميلة... ولشخص وفد إليه اسمه أصرم، فقال له صلى الله عليه وسلم: بل أنت زرعة..

وقد ورد في الصحيحين عن أبي حميد قال أقبلنا مع رسول الله من تبوك حتى أشرفنا على المدينة فقال: (هذه طابة)، وكان يكره عليه الصلاة والسلام تسميتها يثرب كراهية شديدة.

وأخيراً هذا قوله عليه الصلاة والسلام عن أسمائه الخمسة الشريفة والتي وردت في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ

وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِي الْكُفْرَ وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ»[1].

قال أبو داود: «وغير النبي صلى الله عليه و سلم اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاما، وسمى حربا سلما، وسمى المضطجع المنبعث، وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم بني الرشدة، وسمى بني مغوية بني رشدة».

قال أبو داود: تركت أسانيدها للاختصار[2].

قال الشيخ الخطابي: أما العاص فانما غيره كراهة لمعنى العصيان وإنما سمة المؤمن الطاعة والاستسلام، وعزيز إنما غيره لأن العزة لله سبحانه وشعار العبد الذلة والاستكانة وقد قال سبحانه عندما يقرع بعض أعدائه ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ الدخان: ٤٩، وعتلة معناها الشدة والغلظة، ومنه قولهم رجل عتل أي شديد غليظ ومن صفة المؤمن اللين والسهولة، وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون، وشيطان اشتقاقه من الشطن وهو البعد من الخير، وهو اسم المارد

(١) البخاري: (٣٥٣٢)، ومسلم:

(٢) سنن أبي داود (٤٩٥٦).

الخبيث من الجن والانس، والحكم هو الحاكم الذي إذا حكم لم يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه ومن أسمائه الحكم.

وغراب مأخوذ من الغرب وهو البعد، ثم هوحيوان خبيث الفعل خبيث الطعم وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله في الحل والحرم .

وحباب نوع من الحيات، وقد روي أن الحباب اسم الشيطان فقيل أنه أراد به المارد الخبيث من شياطين الجن، وقيل: إن نوعاً من الحيات يقال لها: الشياطين، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ الصافات: ٦٥ والشهاب شعلة من النار، والنار عقوبة الله سبحانه وهي محرقة مهلكة .

وأما عفرة فهي نعت للأرض التي لا تنبت شيئاً أخذت من العفرة وهي لون الأرض فسماها خضرة على معنى التفاؤل لتخضر وتمرع»[1].

ومن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة، فقال : لا أحبُّ العقوق.

قالوا : يا رسول الله إنما نسألك عن أحدنا يولد له، قال : «من أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل، عن الغلام شاتان مكافئتان، و عن

(١) معالم السنن لأبي سليمان الخطابي (٢/ ٤٨٧).

الجارية شاة»[1].

قال القرطبي: «كره صلى الله عليه وسلم اسم العقوق، ومقصود الشرع الإرشاد إلى تعرُّف مواقع الألفاظ، واستعمال الأولى منها والأحسن ما أمكن من غير إيجاب ذلك، واجتناب المشترك من الألفاظ، وما يستكره منها، وما لا تواضع فيه، كعبدي وأمتي، من غير تحريم ذلك، ولا تحريجه. والله تعالى أعلم»[2].

«ولما حاصر علي بن أبي طالب حصون خيبر اطّلع رجل من اليهود إليه من على رأس الحصن، وقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال اليهودي: (علوتم) والذي أنزل على موسى.

اشتق علو المسلمين من اسم علي، وهكذا كان.

ولنا من عصرنا الحديث شاهد ودليل.

فهذا صدّام حسين. اشتمل اسمه على مادة صدم، وهي غنية عن التعريف، وقد انعكس اسمه على مجمل حياته فتراه لايكاد يخرج من صدام حتى يلج الآخر.

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٢١٣ : أخرجه أبو داود (٢٨٤٢) والنسائي (٢/ ١٨٨) والحاكم (٤/ ٢٣٨) والبيهقي (٩/ ٣٠٠) وأحمد (٢/ ١٨٢ و١٩٤) ، سنن أبي داود (٤٩٥٦).

(٢) المفهم (٦٧/٨).

ولعل في اسم جابر بن أحمد الصباح ما يدل على واقعه أيضا. فقد جبر الله عثرته ورد اليه ملكه، فكان اسمه دالاً على بعض حاله... »[1].

قال الطبري رحمه الله: لا ينبغي التسمية باسم قبيح المعنى، ولا باسم يقتضي التزكية له، ولا باسم معناه السب، ولو كانت الأسماء إنما هي أعلام للأشخاص، ولا يقصد بها حقيقة الصفة. لكن وجه الكراهة أن يسمع سامع بالاسم، فيظن أنه صفة للمسمى، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يحول الاسم إلى ما إذا دعي به صاحبه كان صدقًا.

وقال: وليس تغيير رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير من الأسماء على وجه المنع للتسمي بها، بل ذلك على وجه الاختيار، لأن الأسماء لم يسم بها لوجود معانيها في المسمى بها، وإنما هي للتمييز، ولذلك أباح المسلمون أن يتسمى الرجل القبيح بحسن، والرجل الفاسد بصالح، ويدل على ذلك قول جد ابن المسيب للنبي صلى الله عليه وسلم حين قال له: «أَنْتَ سَهْلٌ»: لا أغير اسمًا سمَّانيه أبي .أخرجه البخاري (٦١٩٠). فلم يلزمه الانتقال عنه على كل حال، ولا جعله بثباته آثمًا بربه، ولو كان آثمًا بذلك لجبره على النقلة عنه إذ غير جائز في صفته عليه

(١) http://islamtoday.net/questions/show_question_content.cfm?id=٥٢٦١٢.

السلام أن يرى منكرًا وله إلى تغييره سبيل)[1].

«إن الأفعال ينبغي أن تكون مناسبة للأسماء لأنها قوالبها دالة عليها لا جرم اقتضت الحكمة الربانية أن يكون بينهما تناسب وارتباط وتأثير الأسماء في المسميات والمسميات في الأسماء ظاهر بين.. والله سبحانه بحكمته في قضائه يلهم النفوس أن تضع الأسماء على حسب مسمياتها لتناسب حكمته بين اللفظ ومعناه، كما يناسب بين الأسباب ومسبباتها[2].

وَمَنْ عَرَفَ سِرّ تَأْثِير الْأَسْمَاء فِي مُسَمَّيَاتهَا نَفْرَة وَمَيْلًا عَرَفَ هَذَا[3].

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٣٤٨.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/ ٥٢١).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/ ١٠).

٦- قوة الكلمات في الأمثال

لقد تجلى فيما سبق بوضوح كبير أن النصوص الشرعية تؤكد على أن الله سبحانه بحكمته البالغة جعل للكلمات قدرة وقوة وتأثيراً، واستقر ذلك في أنفس الناس وأفئدتهم من أزمنة قديمة، وجرى على ألسنتهم في أمثلة كثيرة جداً، **فمن الأمثال العربية:**

- «اللفظ سعد »!
- «الصحة في لسانك».
- «رب كلمةٍ سلبتْ نعمة، وجلبت نقمة».
- «رُب كلمةٍ تقول لصاحبها دعني».
- «لسانك حصانك إن صنته صانك، وإن هنته هانك »!
- «إياك أن يضر لسانك عنقك».
- «خير الخلال حفظ اللسان».
- «زلة اللسان لا تقال».
- «عثرة القدم أسلم من عثرة اللسان».
- «زم لسانك تسلم جوارحك».

- «طعن اللسان كوخز السنان».
- «طول اللسان يقصر الأجل».
- «اللسان لحمة ويكسر في العظم».

ومن الأمثال الانجليزية :

- الكلام صورة العقل.
- العاقل من حفظ لسانه.
- اللسان الصموت يصنع الرجال.
- لا حكمة أبلغ من السكوت.
- الزن على الآذان أمر من السحر.
- مقتل الرجل بين فكيه.

٧- الطفرة العلمية تثبت قوة الكلمات

«أثبتت الطفرة العلمية أن أكبر قوة في الكون هي قوة الكلمة أو الفكرة، فهي تؤثر في الماديات والمعنويات، وتأثيرها في المعنويات أكبر من الماديات، لأن الطاقات الخفية للإنسان قوية وكبيرة، وكلها عبارة عن قوة الكلمة الخفية أو الفكرة التي تؤثر في الماديات وتغير من أشكالها وأوصافها وأماكنها.

فمدار الكون على كلمة واحدة، بها خلقت وبها تطوى السموات والأرض، وبها تفتح الجنة وتسعر النار ... كل مفردات الحياة .. الكلمة هي المكون الأساسي لها "[1].

ويقول علماء الاجتماع: إن قوة الكلمات تفوق أي قوة توصل لها الإنسان كالكهرباء أو الطاقة النووية.. لذلك كانت كلمات العلماء والأدباء والمشاهير والشعراء ورجال الأعمال والنقاد والمحللين أقوى من أي قوة أخرى!

(١) http://www.qudwa.com/?page=articles/١٦/١٦_٠١٧.

٨- تأثير الكلمات على الماء

«أثبتت أبحاث في الغرب.. أن جزيئات الماء تتشكل ببلورات ذات أشكال تعتمد على مايلقى على الماء من كلام! إن الخواص الفيزيائية للماء تتغير تبعا لما يلقى على الماء من كلام واظهر خلال البرنامج صورا لأشكال بلورات الماء بشكل اعتيادي وشكلها بعد تسليط كلام معين عليها، ووجد انه مثلا كلمة حب تجعلها تتسم بنسق جميل ولطيف، في حين كلمة كره تجعلها مشوشة وشكلها مخيف..

فأثبت هؤلاء الباحثون أن الخاصية الفيزيائية للماء تتغير تبعا للكلام الذي يلقى على الماء، وأظهر هذا الرجل صورا عديدة في البرنامج تثبت كلامه، لو علمنا ان نسبة الماء في الإنسان هي ٧٠ بالمئة فسنعلم تأثير هذا الاكتشاف على بنية الإنسان! فالماء الذي في أجسامنا ستتغير خواصه الفيزيائية تبعا لكلامنا، ونحن نعلم أن ديننا الحنيف جعل لنا في كل أمر وحادثة دعاء نقوله إضافة إلى قراءة القرآن الكريم... فمن أراد أن يأكل يسمي الله فقد تتغير خواص الماء بعد أن تسمي الله عليه بحيث لا يمكن أن تبقى فيه أي جرثومة تضرك، وهكذا في كل أمر للمسلم، فنبينا صلى الله عليه وسلم علمنا أنه إذا صعدنا صعودا أن نكبر الله، وإذا نزلنا أن نسبح الله، فقد يكون لهذا الأمر فينا تأثير عظيم، حتى دخولنا لقضاء الحاجة في

الدخول والخروج دعاء، وفي الحديث «إذا جامع أحدكم زوجه فليقل: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» فقد يكون هذا الدعاء سبباً في تغير صفات وخواص الماء الذي في المنى ويكون للطفل حرز من الشيطان وعمله...فسبحان الله[1].

(١) http://majdah.maktoob.com/vb/showthread.php?t=١٣٩٢٦.

٩- تأثير الكلمات على النباتات

للكلمات قوة تأثيرية على النباتات أيضاً (ففي دراسة أُجريت في العراق في نهاية الثمانينيات في كلية الزراعة بجامعة بغداد، أخذ الباحثون عينات من نبات معين وجعلوا **العينة الأولى** لا تتأثر بأية نوع من الأصوات.

والعينة الثانية: جعلوها تستمع لكاسيت فيه (شتائم ومسبات وألفاظ نابية).

والعينة الثالثة: جعلوها تستمع للقرآن الكريم، وعرضوا العينات الثلاث لنفس عوامل النمو المناسبة من ماء وتربة وهواء وغيرها... وبعد فترة النمو.. وجدوا العجائب...

العينة التي سمعت الشتائم أصبحت أوراقها صفراء ولم تنمو بشكل طبيعي... وأما التي سمعت القرآن الكريم فكان نموها ثلاث أضعاف العينة الأولى التي لم تسمع شيئاً!

وإن كان هذا تأثير القرآن الكريم على النبات، فكيف بنا نحن، وإن كانت هذه (الشتائم) تعطل نمو النبات... فكيف تفتك بنا نحن البشر؟؟؟ فسبحان الله[1].

---

(١) http://shariaa.net/forum/showthread.php?p=٣٢٦٥٣ باختصار.

١٠- قوة الكلمات التأثيرية على المخ

«تصور نفسك وأنت تقف الآن في مطبخ بيتك وفي يدك ثمرة ليمون تناولتها للتو من الثلاجة،تخيل نفسك وأنت تتحسس قشرتها الباردة الصفراء الشمعية، تأمل البقع الخضراء الداكنة عند النهايات، اضغطها بأصابعك قليلاً، تحسس محتواها بأطراف أصابعك، تحسس ثقلها في كفّك، ارفعها إلى أنفك واستنشق رائحتها، ليس هناك في كل هذا الكون مثيل لليمون في رائحته ...أليس كذلك؟.. اقسمها الآن إلى نصفين، وارفع أحد هذين النصفين إلى أنفك، ستجد الرائحة الآن أكثر نفوذية أليس كذلك؟

أقضمها بأسنانك وتخيل العصير الحامض وهو يملأ فمك ...!

ماذا تشعرالآن...؟ إذا كنت قد استعملت خيالك بشكل جيد فإنك ستشعر بامتلاء فمكَ باللعاب لماذا حصل هذا، رغم إنك لم تكن تملك ثمرة ليمون في يدك ولم تقضم شيئاً؟ لأن هذا الوصف الحي لثمرة الليمون وعملية استنشاقها وتحسسها وتلمسها وتذوقها أدى بك إلى هذا الذي حصل لكْ ...! لكن هذه الكلمات لم تعكس أي حقيقة لأنه لا ليمون في اليد، فكيف حصل هذا؟ الذي حصل أن الكلمات أوجدت

حقيقة، كلماتٌ قرأتها تحولت إلى صور، والصور تحولت إلى حقيقة ذهنية، قام العقل بإيعازها إلى المخ وكأنها حقيقة، فقام المخ بدوره بالإيعاز إلى الغدد اللعابية في الفم لإنتاج اللعاب الذي ملأ فمك.

المخ ليس عليه إلا أن ينفذ ما يصدر له، فالكلمات لها قوة تأثيرية جبارة على المخ، فهي تحمل معاني يفهمها المخ ويستجيب لها، ومن ثم فإن الكلمات لا تعكس الحقيقة فقط، بل إنها توجد الحقيقة بإذن الله إن لم تكن تلك موجودة أصلاً، وهنا مكمن قوة الكلمات.

وحيث إن المخ هو الآمر المسيطر على كل الفعاليات الجسمانية الداخلية من ضغطٍ وحرارة وتغير لوني وإفرازات هرمونية وانبساط وانقباض و...و...و.. الخ، فإنه بدوره ينقل ما يتلقاه من معلومات إلى الأجزاء والأجهزة الداخلية المختلفة، آمراً بأن تنفعل أو سترخي، تنقبض أو تنبسط، تفرز إفرازاتها التي تغير كيمائية الجسم أو تشغل جهاز المناعة أو غير ذلك.

كم هي قويةٌ ومؤثرة تلك الكلمات إذا قيلت بثقة وفي الوقت المناسب، وكم في قواميسنا من كلمات تثير ليس الاشمئزاز فقط، بل وتثير المرض، وتفضي ربما إلى الموت ...؟

يسألك أحدهم عن الحال، وهو متفائل ومهتم ومتوقعٌ أن يسمع منك

ما يطمئنه، وإذ بك ترد عليه:

- لا تسألني... أنا بأسوأ حال... صداعٌ دائم، وقلق، وضعف شهية...إنني أحس وكأني أعيش أيامي الأخيرة ...!!
- ماذا سيكون رد فعلك على مثل هذا القول، وكيف ستتسلل كلماته إلى مخّك لتفعل فعلها في تعكير مزاجك وإعادة الكثير من حساباتك عن الحياة والناس.
- ومثل هذا كثيرٌ مما يؤثر بقوةٍ على القائل والمتلقي...! لو أنك بدأت صباحك بهذا الموقف السلبي الذي يقول: الجو كئيب هذا اليوم، فإنك ستحكم على يومك بالكآبة والملل..
- أو حين تحسّ بتوعك عابر في صحتك كالصداع الخفيف أو المغص في المعدة، وبدلاً من أن تقول لنفسك شيئاً إيجابياً يساعد على طرد المرض وإعادة التوازن الصحي السليم، تشرع باللعن وترديد العبارات المتشائمة من قبيل: يا للصداع الرهيب ...أحس وكأن مطارق هائلة تفتت رأسي...! هذا الوصف الحي الزائف لحالة غير موجودة، سيؤدي إلى تعزيزها أو إيجادها إن كانت غير موجودة، لأن المخ ببساطة يستجيب للكلمات دون أن يسأل عن حقيقة هذا الذي يؤمر به، فليس من واجبه أن يسأل، بل أن يستجيب حسب..

ليس بالضرورة أن يخذلك المخ عند أول مرة تردد فيها شيئاً سلبياً، فهو له أيضاً آلية معينة للعمل ويتأثر بالكلمات حين تتكرر أو حين تأتي على ظهر موجةٍ كهربيةٍ مخية في تردد معين.. حين نعطي أنفسنا إيحاءات معينة، سلبية أو إيجابية، ونحن في حالة يكون إيقاع المخ فيها على تردد موجي من نوع (الألفا أو الثيتا)، أي تردد منخفض جداً، فإن الكلمات سرعان ما تستنبت جذورها في المخ وتفعل فعلها فيه وتجعله يصدر الأوامر لأعضاء الجسم بالاستجابة، أو على الأقل تخزين الأوامر في العقل الباطن إذا لم يكن ممكناً الاستجابة لها في الحال، وحين تأتي الفرصة المناسبة يقوم الكيان بتنفيذ الأمر.

هذا ينطبق على كل الكلمات التي تقولها، كائنة ما كان حجم الفعل المراد منها، فلو أنك لا سمح الله أردت الموت، أو مرضاً يقعدك في فراشك، أو أنك أردت الثراء والقوة والسعادة العظيمة، فيكفيك أن تستنبت هذه الرغبة في العقل الباطن عبر الكلمات الموحية المؤثرة القوية التي تفعل فعلها في المخ، وتدفعه للعمل السريع، وإصدار الأوامر، بالتنفيذ أوتخزين الأمر لغاية ما يستطيع المخ .. أن يبحث عن أساليب تحقيق رغبتك.

الكلمات أو الأوامر التي هي من صميم عمل المخ وحده، يمكن أن

ينفذها لك في الحال، إذ يوعز للأعصاب أن تنقبض وللدم أن ينخفض ضغطه، أو أن لا يذهب إلى الرأس بالكمية الكافية، فتصاب بالصداع الرهيب الذي تمنيته، أما إن تمنيت لا سمح الله شللاً أو قرحة في المعدة، فإن الأمر ربما يأخذ وقتاً أطول ...!

إن الكلمات قادرة على أن تتحول إلى حقيقة ملموسة وساطعة سطوع الشمس، وإن هذا يعتمد بالمقام الأول على الإيقاع الموجي للمخ لحظة إطلاق تلك الكلمات ..! ومستوى الانشغال الشعوري أو الإيمان بهذا الذي تقوله، فحيث تقول تلك الكلمات السلبية أو الإيجابية بإيمانٍ شديد وقناعة قوية، فإن المخ سيصدقها ويؤمن بها بدوره وينفذها، أما إن قلتها دون قناعة أو بأقل قدر من الاهتمام أو التصديق، فإنه لن يحملها على محمل الجد، أو يؤجلها حتى وإن لم تكن تحتمل التأجيل أو تستحقه.

هناك عامل التكرار، فبعض الإيحاءات تحتاج إلى التكرار لعدة مرات في اليوم الواحد ولعدة أيام أو أسابيع حتى يتم استنباتها في العقل الباطن، لكي ما يتقبلها المخ كحقيقة ويؤمن بها وبضرورتها فينفذها لك بإذن الله أو يجند الظروف لتنفيذها.

عرفنا قوة الكلمات وتأثيرها، فما علينا إلا أن نستنبت الإيحاءات الإيجابية التي تنظف المخ من الأدران وتعوض أطنان القمامة الموجودة

فيه (القناعات السلبية والأفكار والكلمات المدمرة) بزهور الخير والتقدم والنجاح والسعادة.

والخلاصة: إن الكلمات لها تأثير فعال على الانسان، وخاصة بالنسبة لأعماق الروح، وهي التي تقود الجسم، بشكل لا يدركه الفكر، والمخ يعمل تلقائياً.

والمهم أن يختار الانسان الألفاظ التي توحي بالثقة والتفاعل مع الحياة بصورة ايجابية[1].

«فاحرص على أن تكون كل كلمة تتفوه بها تدعيما لتطلعاتك، وأن كلماتك لابد أن تعضدك وتقويك... إن كلماتك ذات قوة هائلة ـ وأنا أعني ذلك حرفياً ـ لذا فإنه من الأهمية بمكان أن نقول الشيء الصحيح في الوقت الصحيح.

إنه لمن الخطأ أن تقول: «أنا فقير » أو «أنا ضعيف»، أو «أنا متعب» أو «أنا مفلس». إنك لست كذلك، بل هي الظروف الخارجية.

إنك بقول الجمل السلبية التي تبدأ بـ«أنا...» تتسبب في إيلام نفسك وجلب الأمراض والعلل عليها.

فتلك الجمل يتم اختزانها في العقل الباطن كتأكيدات وتصريحات ثابتة.

---

(١) http://bafree.net/forums/archive/index.php/thtml٤٩١٤٩.

١١- قدرة الكلمات على التحفيز

الكلمات لها تأثير السحر، لأنها تتحكم في طريقة تفكيرنا، وبدورها تتحكم في أحاسيسنا ومشاعرنا.

إن معظم قناعاتنا تكونها كلمات، وتغيرها كلمات، وسلطان الكلمات ليس تأثيره على الآخرين فقط، وإنما على نفسك أيضاً، ولذلك استخدم النبي عليه الصلاة والسلام الكلمات حتى يحفز أصحابه.

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أمينا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[1].

كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن استخدام الكلمات في غير موضعها حتى لا يضيع الحق، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِى لَهُ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا

(١) حديث صحيح رواه الترمذي : (٣٧٩١)، وابن ماجه: (١٥٤)، وابن حبان: (٧٢٥٢).

أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ »[1].

الكلمات التي تكررها باستمرار تحدد مصيرك[2].

«لقد أجري كم هائل من الأبحاث عن تأثير كلمات معينة، منها ما أجري في مجال الإعلان، فوُجدَ أن تأثير الكلمات على المستهلكين كالسحر، فالكلمات تحفز للشراء، ووفقا للأبحاث التي أجريت في كليات التجارة وإدارة الأعمال في العديد من الجامعات الكبرى فإن هذه الكلمات الاثنى عشر (أنت، مجرب، يرغب، سهل، الصحة، يضمن، جديد، المال، يوفر، نتائج، الأمان، يكتشف) لها تأثير كبير على المستهلكين، بل إن إحدى الشركات الكبرى تمكنت من استخدام الاثنى عشر جميعها في شعارها التسويقي!

عندما تكون الكلمات صادقة ودودة يمكن أن تغير عالمنا !

ثلاثة أمور تؤثر على كلماتنا:

١ - **نبرة الصوت**: لا يتوقف الأمر على الشيئ الذي تقوله بقدر ما يتوقف على الطريقة التي تقوله بها.

ولا يتوقف الأمر على اللغة التي تستخدمها بقدر ما يتوقف على اللهجة التي تستخدمها.

---

(١) البخاري: (٢٥٣٤) مسلم: (٤٥٧٠).

(٢) http://www.saiedi.com/vb/showthread.php?t=٢٨٤٢٧.

يدعي كثير من أساتذة علم النفس الاجتماعي أن أربعين في المائة من تواصلنا الكلامي يتم من خلال نبرة الصوت ومقام الصوت يمثل جوهر كل شيئ نقوله ، إنه يحمل الكلمات بالمشاعر.

٢- **لغة الجسد**: أجسادنا تتكلم كما يقول ديفيد وست، نفس علماء الأجتماع الذين أخبرونا بأن نبرة الصوت يمكن أن تمثل أربعين بالمائة من تواصلنا الكلامي ، يخبروننا بأن نسبة ما تمثله لغة الجسد من تواصلنا الكلامي أعلى بكثير من هذا ، فهم يقولون: إننا كثيرا ما نستخدم أجسادنا للتعبير عن أكثر من نصف ما نقوله!، ويشيرون الى أنه اذا أردنا أن نكون أكثر فعالية في تواصلنا ينبغي علينا أن نكون على وعي بالتعبيرات الوجهية والكيفية التي تستخدم فيها الأيدي.

طريقة المرء في توصيل رسالته لها نفس أهمية محتوى الرسالة ، واذا لم تكن نبرة الصوت ولغة الجسد متناسبتين ، فلن تصل الرسالة، هناك خيارات نختارها في كل مرة نتحدث بها الى شخص آخر فالابتسامات والايماءات الودية من الأشياء العظيمة التي يمكن أن تصحب الكلمات الطيبة.

٣- **التواصل عن طريق التلامس**: اذا كنت تريد أن تقترب من المحيطين بك ، كن على وعي بتأثير التواصل عن طريق الأيدي، ولوقت طويل كان ينظر الى الجلد على أنه ليس أكثر من غطاء للجسد، لكن البحوث المستفيضة في مجالي علم الأحياء وعلم النفس علمتنا شيئا

آخر. يقول ألان لوي: «أكثر من نصف مليون من الألياف الحسية تتدفق من الجلد خلال الحبل الشوكي الى المخ. وباعتباره نظاما حسيا فهو أهم عضو في الجسم».

هذا هو السبب الرئيسي وراء كون اللمس الرقيق جزءا من العلاج النفسي، فمن الممكن أن يحفز الناس المتعطشين الى الحنان. ويضيف ألان لوي قائلا: «عندما يكون اللمس هو التعبير الصادق الى الحنان والحب، فإنه يمكن أن يزيدك قربا من الطرف الآخر أكثر مما تقدر عليه آلاف الكلمات».

فكر فيما يمكن أن تصنعه الكلمات الطيبة والنبرة الرقيقة واللمسة الحانية عندما تجتمع[1].

إذا كنت تبغي التأثير في الآخرين.. فاستخدم قوة الكلمات الخارجة من فمك للبناء، درب لسانك على استخدام المصطلحات البنَّاءة والمشجعة، ولأنه من داخل القلب ينطق الفم، فاملأ عقلك بهذه الكلمات البنَّاءة وانطق بها، فلغة التشجيع لغة جديدة مختلفة عن سائر اللغات الحية، فهي عبارة عن باقة من الكلمات طيبة الرائحة، يشتاق الآخرون إلى استنشاقها[2].

---

(١) http://vb.arabsgate.com/archive/index.php/t-٥٠١٠٤٦.htm

(٢) http://www.tartoos.com/HomePage/Rtable/generalinfo/ghtmi٣٦.

١٢- أقوى الكلمات تأثيراً: ذكر الله

ذكر الله تعالى أيسر عبادة، وأعظم مثوبة، ومفتاح كل خير، وأعظم الكلمات على الإطلاق قوة وتأثيرا في جلب الصحة والسعادة والرزق والبركة والتيسير، وكشف السوء، وزوال الكرب، وطرد الشيطان وقمعه وكسره، والنجاة من عذاب الدنيا والآخرة، كما أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم، ذكر له الإمام ابن قيم الجوزية أكثر من مئة فائدة في كتابه الطيب (الوابل الصيب) فمن ذلك:

١ـ ذكر الله له قوة تأثيرية في البدن والقلب والروح:

«وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي، وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي، أو كلاما قريبا من هذا، وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر أو كلاما هذا معناه»[1].

(١) الوابل الصيب ـ (١/ ٦٣).

«إن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر! وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وعليا رضي الله عنهما: أن يسبحا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين، ويحمدا ثلاثاً، وثلاثين، ويكبرا أربعاً وثلاثين، لما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك، وقال: إنه خير لكما من خادم».

فقيل: إن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه يغنيه عن خادم..

ومن ذكر الله هذه الكلمة «لا حول ولا قوة إلا بالله» فلها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك ومن يخاف، وركوب الأهوال، ولها أيضا تأثير في دفع الفقر.. وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي عدواً أو ناهض حصناً، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنه ناهض يوماً حصناً للروم فانهزم، فقالها المسلمون وكبروا فانهدم الحصن».

٢ـ ذكر الله قوة في تحصيل الأمن وذهاب الخوف:

يقول ابن القيم: إن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها

وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا، والله المستعان» !

عَنْ أَبِى بُرْدَةَ بْنِ عَبْدِ الله أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِى نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ »[1]

٣ـ لقد بلغ من قوة الكلمات أنها تؤثر على الشيطان بإذن الله، فيُكفى الإنسان من شره وكيده، فلا يضره، ولا يسلط عليه، حتى إن الشيطان يفر ويهرب إلى عشرات الأميال!، فكيف بمن هو دون الشيطان من الجنة والناس.

وفي حديث الحارث الأشعري: «**وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا الله فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يحْرِزُ نَفْسَهُ مِنْ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ الله**»[2].

(١) صحيح أخرجه أبو داود [١٥٣٩].

(٢) حديث صحيح. رواه الترمذي وصححه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرطهما أنظر صحيح الترغيب (٢/ ٥٢٦).

وفي حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
« إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله ». قَالَ « يُقَالُ حِينَئِذٍ هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ »[1].

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ بِاسْمِ الله اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»، وفي رواية: «وَلَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ»[2].

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا نُودِيَ بِالْأَذَانِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدْبَرَ فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ يَخْطُرُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ»[3].

وفي الحديث: دليل على فضل الأذان، وأنه يطرد الشيطان حتى يدبر عنده وله ضراط، بحيث لا يسمع التأذين، والأذان والإقامة في هذا سواء.

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود:(٥٠٩٤) والترمذي:(٣٤٢٢) وغيرهما.
(٢) البخاري: (٧٣٩٦)، مسلم: (٣٦٠٦).
(٣) متفق عليه: البخاري: (١١٥٥) ومسلم (٨٨٤).

وضراط الشيطان، محمول على ظاهره عند كثير من العلماء، ومنهم من تأوله، ولا حاجة إلى ذلك[1].

وفي (صحيح مسلم) عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء».

قال الأعمش: سألته عن الروحاء، فقال: هو من المدينة ستة وثلاثون ميلاً.

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ أَوْ قَالَ جُنْحُ اللَّيْلِ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنْ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ الله وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ الله وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ الله وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ الله وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ الله انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا فَأَصْبَحَ نَشِيطًا

(١) فتح الباري لابن رجب ـ (٤/ ١٩٥).

(٢) البخاري ٣٠٣٨.

طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»[1].

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: «كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِالله مِنْ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ فَقَالُوا لَهُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعَوَّذْ بِالله مِنْ الشَّيْطَانِ فَقَالَ وَهَلْ بِي جُنُونٌ»[2].

(١) البخاري ٣٠٢٩.

(٢) البخاري ٣٠٤٠.

١٣- كلمات القرآن الأعظم تأثيرا والأشد قوة

كلمات القرآن أعظم الكلمات قوة تأثيرية في تغيير مجرى الأحداث وتكوين الأشياء، إذ تحفظ من جميع الآفات، وتنجي من كل المشكلات، تشفي من الأمراض، وتفك من السحر، وتذهب الأحزان، وتشرح الصدور، ومما يدل على ذلك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» رواه مسلم .

عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا، قال: فأدركته فقال: قل فلم أقل شيئا ثم قال: قل فلم أقل شيئا قال: قل فقلت ما أقول، قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» رواه الترمذي (٣٥٧٥) .

وفي صحيح البخاري عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة رمضان أن أحتفظ بها فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقال: دعني فأني لا أعود فذكر الحديث وقال: فقال له في الثالثة: أعلمك كلمات ينفعك الله بهن إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخلى سبيله فأصبح فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فقال: «صدقك وهو كذوب».

١٤- تأثير كلمات القرآن على غير المسلمين

عن أبي سعيد الخدري، قَال: نَزَلْنَا مَنْزِلاً فَأَتَتْنَا امْرَأَةٌ فَقَالَتْ إِنَّ سَيِّدَ الْحَىِّ سَلِيمٌ لُدِغَ فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مِنَّا مَا كُنَّا نَظُنُّهُ يُحْسِنُ رُقْيَةً فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ فَأَعْطَوْهُ غَنَمًا وَسَقَوْنَا لَبَنًا فَقُلْنَا أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً فَقَالَ مَا رَقَيْتُهُ إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ. قَالَ فَقُلْتُ لاَ تُحَرِّكُوهَا حَتَّى نَأْتِىَ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم-. فَأَتَيْنَا النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ « مَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِى بِسَهْمٍ مَعَكُمْ » رواه الشيخان:(٥٠٠٧)،(٥٨٦٥).

وبيّنت نتائج بحث علمي حديث أن هناك تأثيرًا مهدئًا لتلاوة القرآن الكريم على غير المسلمين الذين لا يتحدثون اللغة العربية.

وأثبتت التجارب وجود تغيرات فسيولوجية (نفسية تدل علىتخفيف درجة توتر الجهاز العصبي التلقائي على عينة ممن تليت عليهم آيات من القرآن الكريم، وتم إجراء التجربة عن طريق استخدام أجهزة قياس ومراقبة إلكترونية متطورة في إحدى العيادات بولاية فلوريدا.

و أُجرى ١٢٠ تجربة على خمسة متطوعين من الجنسين وبأعمار مختلفة من غير المسلمين وغير الناطقين بالعربية، حيث تليت عليهم

آيات من القرآن الكريم و جمل أخرى باللغة العربية من غير القرآن؛ حيث إنهم لا يميزون ما هو متلو من القرآن وغيره.. و هذه التجارب أثبتت تأثر هؤلاء الأشخاص بتلاوة القرآن وليس بتلاوة جمل من اللغة العربية، حيث بلغت نسبة التأثر الإيجابي لسماع التلاوة الكريمة ٩٧٪ وفق نتائج البحث».

١٥- تأثير كلمات القرآن على وظائف أعضاء الجسم البشري

«هناك اهتمام متزايد بالقوة الشفائية للقرآن والتي وردت الإشارة إليها في القرآن وفي تعاليم الرسول. ص وحتى وقت قريب لم يكن من المعروف كيف يحقق القرآن تأثيره، وهل هذا التأثير عضوي أم روحي أم خليط من الاثنين معا.

ولمحاولة الإجابة على هذا السؤال بدأنا في العام الأخير إجراء البحوث القرآنية في عيادات (أكبر) في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا. وكان هدف المرحلة الأولى من البحث هو إثبات ما إذا كان للقرآن أي أثر على وظائف أعضاء الجسد، وقياس هذا الأثر إن وجد، واستعملت أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس أية تغيرات فسيولوجية عند عدد من المتطوعين الأصماء أثناء استماعهم لتلاوات قرآنية. وقد تم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية، وكذلك عند عدد من غير المسلمين . وبالنسبة للمتحدثين بغير العربية، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، فقد تليت عليهم مقاطع من القرآن باللغة العربية ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية.

وفي كل هذه المجموعات أثبتت التجارب المبدئية وجود أثر

مهدىء مؤكد للقرآن في ٩٧٪ من التجارب المجراة. وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تدل علىتخفيف درجة توتر الجهاز العصبي التلقائي.

وتفاصيل هذه النتائج المبدئية عرضت على، المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية الطبية الإسلامية في أمريكا الشمالية والذي عقد في مدينة سانت لويس بولاية ميزوري في أغسطس (آب) ١٩٨٤.

ولقد ظهر من الدراسات المبدئية أن تأثير القرآن المهدىء للتوتر يمكن أن يعزي إلى عاملين:

العامل الأول: هو صوت الكلمات القرآنية باللغة العربية بغض النظر عما إذا كان المستمع قد فهمها أو لم يفهمها وبغض النظر عن إيمان المستمع.

أما **العامل الثاني**: فهو معنى المقاطع القرآنية التي تليت حتى ولو كانت مقتصرة على الترجمة الإنجليزية بدون الاستماع إلى الكلمات القرآنية باللغة العربية.

أما المرحلة الثانية لبحوثنا القرآنية في عيادات (أكبر) فتضمنت دراسات مقارنة لمعرفة ما إذا كان أثر القرآن المهدىء للتوتر وما يصاحبه من تغيرات فسيولوجية عائدا فعلا للتلاوة القرآنية وليس لعوامل أخرى غير قرآنية مثل صوت أو رنة القراءة القرآنية العربية أو لمعرفة السامع بأن

ما يقرأ عليه هو جزء من كتاب مقدس .وبعبارة أخرى فإن هدف هذه الدراسة المقارنة هو تحقيق الافتراض القائل بأن الكلمات القرآنية في حد ذاتها لها تأثير فسيولوجي بغض النظر عما إذا كانت مفهومة لدى السامع. وهذا البحث يضم تفاصيل ونتائج هذه الدراسة .

أجريت مئتان وعشر تجارب على خمسة متطوعين صم ثلاثة ذكور وأنثيان، تتراوح أعمارهم بين ١٧، ٤٠ سنة ومتوسط أعمارهم ٢٢ سنة.

وكل المتطوعين كانوا من غير المسلمين ومن غير الناطقين بالعربية. وقد أجريت هذه التجارب خلال ٤٢ جلسة علاجية تضمنت كل جلسة خمس تجارب وبذلك كان المجموع الكلى للتجارب ٢١٠. وتليت على المتطوعين قراءات قرآنية باللغة العربية الموجودة خلال ٨٥ تجربة، وتليت عليهم قراءات عربية غير قرآنية خلال ٨٥ تجربة أخرى، وقد روعي في هذه القراءات غير القرآنية أن تكون باللغة العربية المجودة بحيث تكون مطابقة للقراءات القرآنية من حيث الصوت واللفظ والوقع على الأذن ولم يستمع المتطوعون لأية قراءة خلال ٤٠ تجربة أخرى، وخلال تجارب الصمت كان المتطوعون جالسين جلسة مريحة وأعينهم مغمضة، وهي نفس الحالة التي كانوا عليها أثناء المائة وسبعين تجربة الأخرى التي استمعوا فيها للقراءات العربية القرآنية وغير القرآنية.

ولقد استعملت القراءات العربية غير القرآنية كدواء خال من المادة

العلاجية (بلاسيبو) مشابه للقرآن حيث أنه لم يكن في استطاعة المتطوعين المستمعين أن يميزوا بين القرآن وبين القراءات غير القرآنية، وكان الهدف من ذلك هو معرفة ما إذا كان للفظ القرآن أي أثر فسيولوجي على من لا يفهم معناه وإذا كان هذا الأثر موجودا فهو فعلا أثر لفظ القرآن وليس أثرا لوقع اللغة العربية المرتلة وهي غريبة على أذن السامع.

أما التجارب التي لم يستمع فيها المتطوعون لأية قراءة فكانت لمعرفة ما إذا كان الأثر الفسيولوجي نتيجة للوضع الجسدي المسترخي أثناء الجلسة المريحة والأعين مغمضة .

ولقد ظهر بوضوح منذ التجارب الأولى أن الجلسات الصامتة التي لم يستمع فيها المتطوع لأية قراءات لم يكن لها أي تأثير مهدىء للتوتر، ولذلك اقتصرت التجارب في المرحلة المتأخرة من الدراسة على القراءات القرآنية وغير القرآنية للمقارنة.

ولقد روعي تغيير ترتيب القراءات القرآنية بالنسبة للقراءات الأخرى باستمرار فمرة تكون القراءة القرآنية سابقة للقراءة الأخرى، ثم تكون تالية لها في الجلسة التالية أو العكس.

وكان المتطوعون على علم بأن إحدى القراءات قرآنية والأخرى غير قرآنية ولكنهم لم يتمكنوا من التعرف على نوعية أية من القراءات في أية تجربة.

لقد أظهرت النتائج المبدئية لبحوثنا القرآنية: أن للقرآن أثراً إيجابيا مؤكدا لتهدئة التوتر، وأمكن تسجيل هذا الأثر نوعاً وكماً، وظهر هذا الأثر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات، وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيرات في الدورة الدموية وما يصحب ذلك من تغير في عدد ضربات القلب وكمية الدم الجاري في الجلد ودرجة حرارة الجلد.

وكل هذه التغيرات تدل على تغير في وظائف الجهاز العصبي التلقائي والذي بدوره يؤثر على أعضاء الجسد الأخرى ووظائفها. ولذلك فإنه توجد احتمالات لا نهاية لها للتأثيرات الفسيولوجية التي يمكن أن يحدثها القرآن.

وكذلك فإن من المعروف أن التوتر يؤدي إلى نقص المناعة في الجسم واحتمال أن يكون ذلك عن طريق إفراز الكورتيزول أو غير ذلك من ردود الفعل بين الجهاز العصبي وجهاز الغدد الصماء، ولذلك فإنه ومن المنطق افتراض أن الأثر القرآني المهدىء للتوتر يمكن أن يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة في الجسم، والتي بدورها ستحسن من قابلية الجسم على مقاومة الأمراض أو الشفاء منها، وهذا ينطبق على الأمراض المعدية والأورام السرطانية وغيرها.

كما أن نتائج هذه التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن

بذاتها وبغض النظر عن مفهوم معناها، لها أثر فسيولوجي مهدىء للتوتر في الجسم البشري.

ويتضح من المذكور أعلاه أن هذا البرنامج للبحوث القرآنية برنامج طويل ومعقد وسيتطلب عدداً من الدراسات المستقلة، وسيستغرق عددا من السنين لإتمامه، ولكنه كذلك موضوع في غاية من الأهمية، ويبشر بنتائج طيبة نرجو أن تكون لها فائدة عملية مجزية[1].

(١) http://www.itimagine.com/hoffaz/forqan/F٢٠٠٥/F٤٤/furqan٤٤_htm. ٠٨

١٦- تأثير كلمات الدعاء

الدعاء أمضى الأسلحة على الإطلاق في مواجهة الحوادث وتهدئة التقلبات، كما أنه أقوى وسائل تحقيق الأمنيات وحصول الرغبات، وهذا أمر تغني شهرته عن طول الكتابة فيه!

بيد أن الذي يخفى على الكثيرين، أنه لا يكفي فيه سلامة القصد وحسن النية وجمع القلب فحسب، بل لابد أن ينضاف إلى ذلك استقامة اللفظ ودقة دلالته على الشيئ المطلوب، فإن لكلمات الدعاء تأثيراً عظيماً في إجابته على النحو الذي أراده الداعي، فإن لم تكن ألفاظه دالة على مراده، فلربما وقعت الإجابة على حسب ألفاظه ومقتضى كلماته، لا على نيته، ولي تجربة عجيبة في ذلك سأذكرها آخر الفصل.

قال ابن بطال: «سمع عمر بن الخطاب رجلا يستعيذ بالله من الفتنة.

فقال له عمر: أتدعو الله ألا يرزقك مالا ولا ولدا! فاستعذ بالله من مضلات الفتن».

وقال ابن مسعود: لا يقل أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة؛ لأن الله يقول: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ التغابن: ١٥.

فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن[1].

أما تجربتي:

فقد كنت أطلب علم الحديث أيام دراستي في المرحلة الثانوية، فكنت أحفظ من صحيح الإمام البخاري رحمه الله، وأدرس فن مصطلح الحديث، ثم تاقت نفسي لإتقان هذا العلم، فكنت أجتهد في الدعاء وألح على ربي، وكان من دعائي: اللهم علمني تأويل الأحاديث، أحسب أنه أدل على ما تتوق إليه نفسي، بيد أن المقصود من تأويل الأحاديث الوارد في سورة يوسف: علم تعبير الرؤى وتفسير الأحلام، وذلك بإجماع المفسرين، غير أنه لم يكن من قصدي في دعائي، وليس من نيتي في ذلك الزمان، فاستجاب الله لكلمات دعائي، وعلمني من تفسير الأحلام حتى برزت فيه أكثر من علم الحديث النبوي الذي نلت فيه درجة علمية، وصنفت في تفسير الأحلام عدة مصنفات نفع الله بها!

(١) شرح البخاري لابن بطال ـ (٧/ ١٠).

١٧- تأثير الكلمات في تعبير المنامات

لا يقتصر تأثير الكلمات في تغيير مجرى حياتنا وتشكيل مستقبلنا وصناعة أحداثنا حال يقظتنا فحسب، وإنما تعداه إلى التأثير حال المنام والرؤى والأحلام، فما يقوله الحالمون في رؤاهم من كلمات يحمل دلالات من الأهمية بمكان في إيجاد التعبير المناسب، وترجيح معنى على آخر من المعاني المتعدة للرؤيا الواحدة، ومن ثم وقوع الرؤيا على حسب ما فُسرت عليه!

فمن رأى رجلاً يسمى راشدًا يعبر بالرشد، وإن كان يسمى سالمًا يعبر بالسلامة، وسعيدًا بالسعادة، ونافعًا بالنفع، وعقبة بالعاقبة، ورافعًا بالرفعة، وأحمد بالحمد، وصالحًا بالصلاح.

روى مسلم من حديث أنس، عن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ـ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ـ كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ ابْنِ رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ».

وقد أجاد الشهاب العابر في بيان تعبير الأحلام بدلالة الكلمات واشتقاق اللغة، فقال: «واعتبر الاشتقاق في الأسماء، فإن السوسنة: تدل على السوء، والسيئة، وكما أن الرياحين إذا أكلها العالم: دل على الرياء،

وتدل للمريض: على الخير، ومن هو خائف، ورأى النازنج، قيل له: النار، فاطلب النجاة لنفسك، والنمام: يدل على النميمة، ومن طلب حاجة، ورأى الياسمين: دل على الإياس، والمين الذي هو الكذب، والفرجية: تدل على الفرج والرجية. ورؤية الفرج، لمن هو في شدة: فرج، وسرور.

قال الشهاب العابر: ربما أخفى الله تعالى الحكم مضمراً في الاشتقاق، وهو من أصول الرؤيا، فتارة تأخذ جميع الكلمة كمن معه عصا وهو يؤذي الناس بها بغير حق، فتقول: هذا رجل عاصي لكونه عصى بإساءته بغير حق، وكمريض قُدّمت له دواة، فتقول: جاءته العافية، لأن دواءه قد جاءه.

وتارة يكون الاشتقاق من بعض الكلمة، كما قال لي إنسان كأنه وقع على عيني عمامة بيضاء. فقلت: يقع بعينيك عماءُ، وربما يكون من بياض فكان كما قلت، لأن العمامة بعضها عما وأسقطنا الباقي.

وربما كان في الكلمة اشتقاقان، كفرجية فتقول: فرج من شدة، وأمر ترجوه يحصل لك على قد الفرجية، على ما يليق به».

ومما يبرهن أن للكلمات قوة تأثيرية هائلة لا تدركها عقولنا، أن الأحلام والمنامات تقع في الواقع والحقيقة مطابقة لمدلول الكلمات

التي فسرت بها، وعبرت عليها، دل على ذلك النصوص الشرعية، وتجارب المعبرين، وواقع الحالمين!

أخرج الحاكم من حديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الرؤيَا تَقَع عَلَى مَا تعبر[1]، وَمِثْل ذَلِكَ مِثْل رَجل رَفَع رجله فَهْو يَنْتَظِر مَتَى يَضعها، فَإِذَا رَأَى أَحَدكُم رُؤيَا فَلاَ يحُدِّث بِهَا إلا ناصحًا أو عالمًا»[2].

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه، عن أبي رزين العقيلي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ[3]،مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا

(١) (تعبر) مشددًا ومخففًا. يقال: عبر الرؤيا بالتخفيف والتشديد إذا فسرها .

(٢) المستدرك: (٤/ ٣٩١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢٠).

(٣) أي أنَّهَا على قدر جار، وقضاء ماض من خير أو شر، وأن ذلك هو الذي قسمه الله لصاحبها، من قولهم: اقتسموا دارًا فطار سهم فلان في ناحيتها: أي وقع سهمه وخرج، وكل حركة من كلمة أو شيء يجري لك فهو طائر، والمراد أن الرؤيا هي التي يعبرها المعبر الأول، فكأنَّها على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت، كما يسقط الذي يكون على رجل الطائر بأدنى حركة، كذا قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٢٠٤).

وقال المباركفوري: هذا مثل في عدم تقرر الشيء، أي لا تستقر الرؤيا قرارًا، كالشيء المعلق على رجل طائر. فالمعنى أنَّهَا كالشيء المعلق برجل طائر لا استقرار لها .

عُبِّرَتْ وَقَعَتْ» قال الراوي: وأحسبه قال: «وَلا تَقُصَّهَا إِلاَّ عَلَى وَادٍّ [1] أَوْ ذِي رَأْيٍ»[2].

ومن لطيف ما ورد في ذلك، ما رواه الدارمي: عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف، فكانت ترى رؤيا كلما غاب زوجها، وقَلَّمَا يغيب إلا تركها حاملاً، فتأتي رسول الله ﷺ فتقول: إن زوجي خرج تاجرًا فتركني حاملاً، فرأيت فيما يرى النائم أن سارية بيتي انكسرت، وأني ولدت غلامًا أعور، فقال رسول الله ﷺ: «خَيْرٌ يَرْجِعُ زَوْجُكِ عَلَيْكِ -إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى- صَالِحًا وَتَلِدِينَ غُلامًا بَرًّا»، فكانت تراها مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك تأتي رسول الله ﷺ فيقول ذلك لها، فيرجع زوجها وتلد غلامًا .

فجاءت يومًا كما كانت تأتيه ورسول الله ﷺ غائب، وقد رأت تلك الرؤيا فقلت لها: عَمَّ تسألين رسول الله ﷺ يا أمة الله ؟

فقالت: رؤيا كنت أراها، فآتي رسول الله ﷺ، فأسأله عنها، فيقول

---

(١) أي حبيب، وانظر: تحفة الأحوذي: (٦/ ٥٥٩) .

(٢) حديث حسن.

أخرجه أبو داود: (٥٢٠). والترمذي: (٢٢٧٨). وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: (٣٩١٤). والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٠) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر في الفتح (١٢/ ٤٥٠) .

خيرًا، فيكون كما قال، فقلت: فأخبريني ما هي؟ قالت: حتى يأتي رسول الله ﷺ فأعرضها عليه كما كنت أعرض، فوالله ما تركتها حتى أخبرتني، فقلت: والله لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك وتلدين، غلامًا فاجرًا، فقعدت تبكي، فقال لها: «مَا لَهَا يَا عَائِشَةُ؟» فأخبرته الخبر، وما تأولت لها، فقال رسول الله ﷺ: «مَهْ يَا عَائِشَةُ إِذَا عَبَرْتُمْ لِلْمُسْلِمِ الرُّؤْيَا، فَاعْبُرُوهَا عَلَى الْخَيْرِ، فَإِنَّ الرُّؤْيَا تَكُونُ عَلَى مَا يَعْبُرُهَا صَاحِبُهَا»، فَمَاتَ -وَالله- زَوْجُهَا وَلا أُرَاهَا إِلاَّ وَلَدَتْ غُلامًا فَاجِرًا [1].

وأخرج سعيد بن منصور عن عطاء قال: «كان يقال الرؤيا على ما أولت»[2].

هذه النصوص صريحة بأن الرؤيا تقع على مثل ما تفسر به من كلمات، وهو أمر يدل على أن للكلمان قوة تأثيرية لا نعلم حقيقتها، ويمكن أن يقال: إن الله إذا قدر أن تقع الرؤيا، فإنه سبحانه يُقدر للعابر أن يفسرها على وفق ما سوف تقع، فإذا عبرها وقعت على حسب تعبيره، ومما لا شك فيه أن ذلك مقيد بما إذا كان التعبير مما تحتمله الرؤيا ولو على وجه، وليس خطأ محضًا من كل وجه، وقد أشار إلى هذا المعنى

(١) الدارمي: (٢١٦٣)، وحسنه ابن حجر في الفتح (١٢/ ٤٥٠) بيد أن في إسناده محمد بن إسحاق وهو يدلس، ولم يصرح بالتحديث، فالله أعلم!

(٢) صحح إسناده ابن حجر في الفتح: (٢/ ٤٥٠).

الإمام البخاري عندما قال: «باب من لَمْ يَر الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب»[1].

قال أبو عبيدة وغيره: معنى قوله «الرؤيا لأول عابر» إذا كان العابر الأول عالمًا، فعبر فأصاب وجه التعبير، وإلا فهي لمن أصاب بعده؛ إذ ليس المدار إلا على إصابة الصواب في تعبير المنام، ليتوصل بذلك إلى مراد الله فيما ضربه من المثل، فإذا أصاب فلا ينبغي أن يسأل غيره، وإذا لم يُصب فليسأل الثاني، وعليه أن يخبره بما عنده، ويبين ما جهل الأول»[2].

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٨٨).

(٢) فتح الباري: (١٢/ ٤٥١).

١٨- قوة التبشير بالكلمات

ما أحلى أن تعيش حياتك متفائلاً مستبشراً، وأن تحيا بين الناس مبشراً لهم ومؤملاً ومنفساً، فبإمكانك أن تسعَهم كلهم بالكلمات الحانية، والألفاظ السعيدة.

كن مستبشراً برحمة الله وفضله وبركته وجوده وإحسانه وعفوه، متفائلا بطيب الحياة، ورغد العيش، وسعة الأرزاق.

بشر الأقارب والأباعد، الأصدقاء والزملاء، من عرفت ومن لم تعرف: بتيسير المهمات، وتفريج الكربات، وقضاء الحاجات، ورحمة رب الأرض والسموات، وسعة الأرزاق والبركات، وصلاح الأولاد والبنات.

إن الاستبشار والتبشير بالكلمات الطيبة لهما أكبر الأثر في طيب النفس،وانشراح الصدر، وجلب الفرح والسرور، إلى جانب تحقيق الأمنيات، وحصول الخيرات، وبلوغ المقاصد!

لم يكن عندي أولاد زهاء ست سنوات، فدخل علي الخال (إبراهيم محمد موسى)،رحمه الله، فقال: السنة القادمة في مثل هذه الأيام، سيكون عندك ولد بمشيئة الله، فكان كما قال، وتأسيت به، فزرت رجلاً فرداً لم يكن لديه ذرية، فقلت له: السنة القادمة في مثل هذه الأيام،

سيكون عندك ذرية بمشيئة الله، فكان كما قلت، وقلت لشاب عزب تأخر زواجه وتعسر لظروف مادية: السنة القادمة في مثل هذه الأيام، ستكون متزوجاً وزوجك حاملاً بمشيئة الله ورحمته، فكان كما قلت.

وهكذا عاش نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام متفائلاً مؤملاً مستبشرا مبشرا، وما أكثر ما بشر به أصحابه وأمته في أحاديث كثيرة جدا، «وكَانَ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»[1]. وكان يقول: «أبشروا وبشروا من وراءكم.. »[2].

وبهذه الصفة الفذة تأسى أصحابه رضي الله عنهم.

وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي الَّذِينَ قَدِمُوا مَعِي فِي السَّفِينَةِ نُزُولًا فِي بَقِيعِ بُطْحَانَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمُدِينَةِ فَكَانَ يَتَنَاوَبُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ كُلَّ لَيْلَةٍ نَفَرٌ مِنْهُمْ فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَأَصْحَابِي وَلَهُ بَعْضُ الشُّغْلِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ فَأَعْتَمَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِهِمْ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ عَلَى رِسْلِكُمْ أَبْشِرُوا إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ الله عَلَيْكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ يُصَلِّي هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ

(١) صحيح مسلم ـ (٩/ ١٥٢).

(٢) أخرجه أحمد والطبراني عن أبى موسى. انظر حديث رقم: ٣٥ فى صحيح الجامع.

أَوْ قَالَ مَا صَلَّى هَذِهِ السَّاعَةَ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ لَا يَدْرِي أَيَّ الْكَلِمَتَيْنِ قَالَ قَالَ أَبُو مُوسَى فَرَجَعْنَا فَفَرِحْنَا بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وعبد الله بن حوالة، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فشكونا إليه الفقر والعري وقلة الشيء، فقال: «أبشروا، فوالله لأنا وكثرة الشيء أخوف عليكم من قلته، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى تفتح لكم أرض فارس والروم وأرض حمير، وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة: جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن، وحتى يعطى الرجل المائة الدينار فيسخطها».

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: «اعْتَمَرَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتَمَرْنَا مَعَهُ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ طَافَ وَطُفْنَا مَعَهُ وَأَتَى الصَّفَا وَالمَرْوَةَ وَأَتَيْنَاهَا مَعَهُ وَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَرْمِيَهُ أَحَدٌ فَقَالَ لَهُ صَاحِبٌ لِي أَكَانَ دَخَلَ الْكَعْبَةَ قَالَ لَا قَالَ فَحَدِّثْنَا مَا قَالَ لِخَدِيجَةَ قَالَ بَشِّرُوا خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»[2].

وعن أبي إدريس الخولاني قال دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا وإذا الناس معه فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه فسألت عنه فقيل هذا معاذ بن جبل فلما كان من الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من

(١) صحيح البخاري ـ (٢/ ٤٠٨).
(٢) صحيح البخاري ـ (٦/ ٣٠٠).

قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت له والله إني لأحبك لله فقال آلله، فقلت آلله فقال آلله فقلت الله، فأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه فقال أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين في وللمتجالسين في وللمتباذلين في»[1].

وعن شداد بن أوس والصنابحي أنهما دخلا على رجل مريض يعودانه فقالا له: كيف أصبحت قال أصبحت بنعمة. فقال له شداد: أبشر بكفارات السيئات وحط الخطايا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله عز وجل يقول إذا أنا ابتليت عبدا من عبادي مؤمنا فحمدني على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا. ويقول الرب تبارك وتعالى: أنا قيدت عبدي وابتليته فأجروا له ما كنتم تجرون له»[2]. رواه احمد.

وعن يزيد بن أبي مريم رضي الله عنه قال: «لحقني عباية بن رفاعة بن رافع رضي الله عنه وأنا أمشي إلى الجمعة فقال أبشر فإن خطاك هذه في سبيل الله»[3].

---

(١) صحيح صحيح الترغيب والترهيب ـ (٣/ ٩٢).

(٢) حسن.

(٣) صحيح.

١٩- قوة التفاؤل بالكلمات

إن تربية النفس على التفاؤل في أعظم الظروف وأقسى الأحوال، منهج لا يستطيعه إلا أفذاذ الرجال، والمتفائلون وحدهم هم الذين يصنعون التاريخ، ويسودون الأمم، ويقودون الأجيال.

أما اليائسون والمتشائمون، فلم يستطيعوا أن يبنوا الحياة السوية، والسعادة الحقيقية في داخل ذواتهم، فكيف يصنعونها لغيرهم، أو يبشّرون بها سواهم، وفاقد الشيء لا يعطيه.

إننا بحاجة إلى أن نربى الأمة على التفاؤل الإيجابي، الذي يساهم في تجاوز المرحلة التي تمرّ بها اليوم، مما يشدّ من عضدها، ويثبّت أقدامها في مواجهة أشرس الأعداء، وأقوى الخصوم؛ ليتحقق لها النصر بإذن الله.

والتفاؤل الإيجابي، هو التفاؤل الفعّال، المقرون بالعمل المتعدي حدود الأماني والأحلام.

والتفاؤل الإيجابي هو المتمشّي مع السنن الكونية، أما الخوارق والكرامات فلا يطالب المسلم بالاعتماد عليها، أو الركون إليها، وإنما نحن مطالبون بالأخذ بالأسباب، وفق المنهج الرباني[1].

(١) http://muntada.islamtoday.net/t٢١٩١.html.

«ولن يستطيع أي إنسان مهما كانت قدراته ومهاراته أن يحقق طموحاته دون أن يكون متفائلاً تفاؤلاً جاداً قويماً يخلصه من الأفكار السوداء، ويوجهه نحو العمل الإيجابي المثمر والتطلع الأفضل لغد مشرق.

والمتفائل الجاد لا يبتسم ابستامة نيرة عذبة دوماً عن فرح، وإنما يفرضها على نفسه ويصعد بها إلى شفتيه تصعيداً في الساعات الحرجة بمحض إرادته وقوة جلده، فتنير قسماته هذه علامة استعلاء في روحه وثقة منه بالخير الذي يحققه الجهد والاجتهاد والمثابرة في العمل إلى أن يصل إلى تحقيق نجاحه المرجو والمنشود.

والتفاؤل..كالزهرة العطرة اللذيذة يأتي عقب غرس في الذهن والقلب والروح وتعهد مستمر دائب، ورعاية منهجية دائمة، وعناية متواصلة، وهو بكل المقاييس نتاج الجد والاجتهاد والتعب في سبيل إصلاح النفس وتنوير العقل وبناء الشخصية.

ومَن أراد تحصيل ذلك التفاؤل، وجب عليه أن يبذل الجهود التي يتطلبها التعود على ذلك التفاؤل، وأن يمتللك الإرادة التي تقاوم الانطباعات والانفعالات العاطفية وتفرض على صاحبها الحزن والشدة وامتلاك الأعصاب، والمثابرة على العمل والجلد في مقاومة الصعاب، والابتسام الهادئ الرصين في معالجة المشاكل..

والتفاؤل - حقاً - طريقك للنجاح والتميز، لأن المتفائل الجاد الواعي لا يعرف الرأس الدفين، ويحتفظ دائماً وأبداً بالصحو في نفسيته والصفاء في ذهنه، لذا تجده حراً في إشغال ملكاته العقلية وتمرينها، فلا يعوقه عن توثبه وانطلاقه عائق أخلاقي أو معنوي، فتراه – دائماً – على أتم الاستعداد لإحراز النجاح تلو النجاح.

بالإضافة إلى أهم ميزة يحققها التفاؤل للإنسان، وهي التمتع الدائم بصحة جيدة، لأنه يقاوم حالات الإحباط النفسي والتشاؤم، مما يعني ـ أيضاً ـ مقاومة للتراخي الصحي وخمول الجسم»[1].

«إن التفاؤل والاستبشار كروت رابحة يدفع بها الإنسان عند المحن والشدائد... فهي بلا شك أساليب تحفز الشخص على العمل الجاد، وتورثه طمأنينة النفس وراحة القلب، لكي يقوى على مواجهة ضغوط ومتطلبات الحياة.

وركزت أبحاث العلماء على فوائد التفاؤل، ومفعولها السحري على حياة الفرد، معتبرة أن مجرد الاستبشار بحدث سعيد يكفي لعرقلة الهرمونات المسببة للضغوط.

كما أنه يعمل على انخفاض الكولسترول،والأدرينالين والدوباك.

وأكدت دراسة أمريكية أخرى أن التفاؤل والتعامل مع مشاكل الحياة

(١) http://www.tebyan.net/index.aspx?pid=٤٢٩٧٤.

اليومية بنظرة إيجابية يقلل من ظهور الشيخوخة، حيث تعود العلاقة بين التفاؤل والشيخوخة إلى عوامل إجتماعية ونفسية، كما أن الجينات والصحة البدنية تلعب دورا هاما فى ظهور اعراض الشيخوخة. فقد وجد الباحثون أن أعراض الشيخوخة والتى تتمثل فى الضعف وفقدان الوزن وعدم القدرة على الإمساك بالأشياء وبطء الحركة تكون اكثر عند الأشخاص المتشائمين عن المتفائلين والذين يتعاملون مع مشاكل الحياة ببساطة وبدون توتر.

وربطت دراسة علمية حديثة لأول مرة بين التفاؤل وجهاز المناعة لدى الأشخاص الذين يتمتعون بصحة جيدة.كما أفادت دراسة حديثة بأن التفاؤل يمكن أن يكون علاجا لمقاومة الإصابة بنزلات البرد في الشتاء.

فقد أوضحت الدراسة أن الشعور بالسعادة والنظر بإيجابية للأمور وخاصةً في فصل الشتاء، يمكن أن يوفر أفضل حماية في مواجهة الإصابة بنزلات البرد.

ومن خلال الدراسة التي أجريت على الأشخاص الذين يتسمون بمزاج يميل إلى التفاؤل، اتضح أنهم أقل عرضة للإصابة بنزلات البرد وأكثر مقاومة لفيروس الأنفلونزا.

وفوائد التفاؤل لا تقتصر على الكبار، بل يمتد مفعولها إلى الصغار أيضا، فقد أثبت فريق من الباحثين اليابانيين أن الضحك هو أفضل وسيلة

لكي تحمي الأم طفلها من الإصابة بالاكزيما.

كما توصل إلي أن الأم التي تقوم بإرضاع طفلها وهي في حالة من السعادة والفرح تحمي إبنها من الاصاب بالاكزيما»[1].

كما أن التفاؤل سوف يساعد طفلك على مقاومة الاكتئاب والفشل وكل مآسي الحياة، وسوف يساعده على مزيد من الانجاز والتفوق، بالإضافة إلى صحة بدنية أفضل، وجهاز مناعة أقوى[2].

ونصوص القرآن والسنة تدعو للتفاؤل الإيجابي، وكان عليه السلام أكثر الناس تفاؤلا، وعلم أمته التفاؤل بالرؤى الطيبة والأسماء والكلمات وغير ذلك.

فتفاءل بما تسمع من كلمات حسنة، وألفاظ طيبة، وأمل ما يسرك من معانيها الجميلة، وتوقع الخير من بعد سماعها، وأحسن بالله الظن، فإن لذلك تأثيراً كبيراً في جلب الخير والتيسير والرزق والبركة والصحة والفرج والفرح والسرور والأحداث السعيدة، وإذا سمعت كلمة سلبية أو لفظة سيئة فإياك أن تتشائم بها، ولا تسمح لها أن تستقر في نفسك، فقم بطردها أو نسيانها أو حذفها من ذاكرتك، ولا تبالي بها، فإنها لن تؤثر عليك أبداً، ولن تضرك ألبتة.

---

(١) http://forum.zvmh.com/t١٠٤١٧٣.html.

(٢) انظر: الطفل المتفائل: (٣٨٣) للدكتور/ مارتن إي . بي . سليجمان.

روى مسلم عن أبي هريرة، قال: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ قِيلَ يَا رَسُولَ الله وَمَا الْفَأْلُ قَالَ الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ» .

قال النووي رحمه الله:

وَفِي رِوَايَة: «لَا طِيَرَة، وَيُعْجِبنِي الْفَأْل: الْكَلِمَة الْحَسَنَة الْكَلِمَة الطَّيِّبَة» وَفِي رِوَايَة: «وَأُحِبّ الْفَأْل الصَّالِح».

وَ «التَّطَيُّر» التَّشَاؤُم، وَأَصْله الشَّيْء المَكْرُوه مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْل أَوْ مَرْئِيّ، وَكَانُوا يَتَطَيَّرُونَ بِالسَّوَانِحِ وَالْبَوَارِح، فَيُنَفِّرُونَ الظِّبَاء وَالطُّيُور، فَإِنْ أَخَذَتْ ذَات الْيَمِين تَبَرَّكُوا بِهِ، وَمَضَوْا فِي سَفَرهمْ وَحَوَائِجهمْ، وَإِنْ أَخَذَتْ ذَات الشِّمَال رَجَعُوا عَنْ سَفَرهمْ وَحَاجَتهمْ، وَتَشَاءَمُوا بِهَا، فَكَانَتْ تَصُدّهُمْ فِي كَثِير مِنْ الْأَوْقَات عَنْ مَصَالِحهمْ، فَنَفَى الشَّرْع ذَلِكَ وَأَبْطَلَهُ، وَنَهَى عَنْهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ تَأْثِير بِنَفْعٍ وَلَا ضُرّ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا طِيَرَة» وَفِي حَدِيث آخَر: «الطِّيَرَة شِرْك» أَيْ اِعْتِقَاد أَنَّهَا تَنْفَع أَوْ تَضُرّ؛ إِذْ عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهَا مُعْتَقِدِينَ تَأْثِيرهَا، فَهُوَ شِرْك لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا لَهَا أَثَرًا فِي الْفِعْل وَالْإِيجَاد.

وَأَمَّا «الْفَأْل».. فَسَّرَهُ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ الصَّالِحَة وَالْحَسَنَة وَالطَّيِّبَة..

قَالَ الْعُلَمَاء: وَإِنَّمَا أُحِبّ الْفَأْل لِأَنَّ الْإِنْسَان إِذَا أَمَلَ فَائِدَة الله تَعَالَى وَفَضْله عِنْد سَبَب قَوِيّ أَوْ ضَعِيف فَهُوَ عَلَى خَيْر فِي الْحَال، وَإِنْ غَلِطَ فِي جِهَة الرَّجَاء فَالرَّجَاء لَهُ خَيْر. وَأَمَّا إِذَا قَطَعَ رَجَاءَهُ وَأَمَلَهُ مِنْ الله تَعَالَى فَإِنَّ ذَلِكَ شَرّ لَهُ، وَالطِّيَرَة فِيهَا سُوء الظَّنّ وَتَوَقُّع الْبَلَاء.

وَمَنْ أَمْثَال التَّفَاؤُل أَنْ يَكُون لَهُ مَرِيض، فَيَتَفَاءَل بِمَا يَسْمَعهُ، فَيَسْمَع مَنْ يَقُول: يَا سَالِم، أَوْ يَكُون طَالِب حَاجَة فَيَسْمَع مَنْ يَقُول: يَا وَاجِد، فَيَقَع فِي قَلْبه رَجَاء الْبُرْء أَوْ الْوِجْدَان. وَالله أَعْلَم[1].

(١) شرح النووي على مسلم ـ (٧/ ٣٧٧).

٢٠- (البلاء موكول بالمنطق)

«البلاء موكول بالمنطق» وفي رواية أخرى «بالقول» وفي رواية ثالثة أخرى: «بالكلام» هذا كله من الأمثلة السائرة، وهو صحيح المعنى، لكنه حديث ضعيف جدا، وحكم عليه بعض النقاد بالوضع[١]! ومن ثم لا يجوز نسبته للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وفي معناه حديث آخر لا أصل له: «ألسنة الخلق أقلام الحق» بل هو من كلام بعض الصوفية[٢].

وقد جرى على ألسنة علماء الإسلام مقرين صحة معناه واستقامة فحواه، ومن أمثلة ذلك:

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى مخبرًا عن استعجال قوم نوح نقمة الله وعذابه وسخطه، والبلاء موكل بالمنطق: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ هود: ٣٢ أي: حاججتنا فأكثرت من ذلك، ونحن لا نتبعك ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ هود: ٣٢ أي: من النقمة والعذاب، ادع علينا بما شئت، فليأتنا ما تدعو به ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٣٢ قَالَ إِنَّمَا

(١) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (٣/ ٨٣)، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١/ ٩)، السلسلة الضعيفة (٦/ ٤٦٨) حديث رقم ٣٣٨٢.

(٢) المقاصد الحسنة ـ (١/ ٤٦).

﴿يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ هود: ٣٢ - ٣٣ [١].

وقال القرطبي رحمه الله: رُوي أن رجلاً من النّصارى وكان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمداً رسول الله» قال: حُرِق الكاذب؛ فسقطت في بيته شرارة من نار وهو نائم، فتعلقت بالبيت فأحرقته وأحرقت ذلك الكافر معه؛ فكانت عِبرة للخلق «والبلاءُ مُوَكَّلٌ بالمنطِق»[٢].

وفي مفاتيح الغيب للرازي: «اعلم أنهم لما طلبوا من (يعقوب) أن يرسل يوسف معهم اعتذر إليهم بشيئين:

أحدهما: أن ذهابهم به ومفارقتهم إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة.

والثاني: خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم أو لعبهم لقلة اهتمامهم به... وكأنه لقنهم الحجة، وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق»[٣].

وفي تفسير حقي «صدقت هذه القصة المثل السائر، وهو قولهم: البلاء موكل بالمنطق! فإن يعقوب عليه السلام قال أولا فى حق يوسف ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ يوسف: ١٣ فابتلى من ناحية هذا القول حيث

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ (١/ ١٧٤٧).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ـ (٩/ ٥).

قالوا: أكله الذئب وقال ههنا: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ يوسف: ٦٦ فابتلى أيضا بذلك وأحيط بهم وغلبوا عليه»[١].

وفيه أيضا: «قال بعض الحكماء لو قال (يوسف) رب العافية احب الىّ لعافاه الله ولكن لما نجا بدينه لم يبال ما أصابه فى الله والبلاء موكل بالمنطق»[٢].

وفي روح المعاني للألوسي: «وبالجملة ما وقع من (يعقوب) عليه السلام من هذا القول كان تلقينا للجواب من غير قصد وهو على أسلوب قوله سبحانه: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ الانفطار: ٦ والبلاء موكل بالمنطق»[٣].

وفي حديث سهل بن سعد قال: «أَنَّ عُوَيْمِرًا الْعَجْلَانِيَّ جَاءَ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ لَهُ: يَا عَاصِمُ أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ سَلْ لِي يَا عَاصِمُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَ عَاصِمٌ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَكَرِهَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا حَتَّى كَبُرَ عَلَى عَاصِمٍ مَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَجَعَ عَاصِمٌ إِلَى

(١) تفسير حقي ـ (٦/ ١٤٢).
(٢) تفسير حقي ـ (٦/ ٩١).
(٣) روح المعاني للألوسي ـ (٨/ ٤٥٢).

أَهْلِهِ جَاءَهُ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ يَا عَاصِمُ مَاذَا قَالَ لَكَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَاصِمٌ لِعُوَيْمِرٍ لَمْ تَأْتِنِي بِخَيْرٍ قَدْ كَرِهَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَسْأَلَةَ الَّتِي سَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ عُوَيْمِرٌ وَالله لَا أَنْتَهِي حَتَّى أَسْأَلَهُ عَنْهَا فَأَقْبَلَ عُوَيْمِرٌ حَتَّى جَاءَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطَ النَّاسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُنْزِلَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ فَاذْهَبْ فَأْتِ بِهَا قَالَ سَهْلٌ فَتَلَاعَنَا وَأَنَا مَعَ النَّاسِ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا فَرَغَا مِنْ تَلَاعُنِهِمَا قَالَ عُوَيْمِرٌ كَذَبْتُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ الله إِنْ أَمْسَكْتُهَا فَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَكَانَتْ سُنَّةَ المُتَلَاعِنَيْنِ»[1].

ومن حديث ابن عباس، قال: ذُكِرَ المُتَلَاعِنَانِ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ فِي ذَلِكَ قَوْلًا ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَقَالَ عَاصِمٌ مَا ابْتُلِيتُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا لِقَوْلِي...».

قال ابن الْعربي: وَيحْتَمل أَنْ يَكُون.. اِتَّفَقَ أَنه وَقَعَ فِي نَفْسه إِرَادَة الِاطِّلَاع عَلَى الحُكْم فَابْتُلِيَ بِهِ كَمَا يُقَال: الْبَلَاء مُوَكَّل بِالمَنْطِقِ، وَمِنْ ثَمَّ

(١) البخاري: ٤٨٩٦.

قَالَ: إِنَّ الَّذِي سَأَلْتُك عَنْهُ قَدْ أُبْتُلِيَت بِهِ[1].

وفي شرح حديث: «طعام الاثنين كافي الثلاثة» قيل: معناه إن شبع الأقل يكفي قوت الأكثر، وقيل: المراد الحض على المكارمة والتقنع بالكفاية، وقيل: معناه أن الله يضع من بركته فيه التي وضع لنبيه فيزيد حتى يكفيهم قال بن العربي وهذا إذا صحت نيتهم فيه وانطلقت ألسنتهم به فان قالوا: لا يكفينا قيل لهم: البلاء موكل بالمنطق[2].

«وروى عن أبى عمرو الشيباني أنه قال يوما لأصحابه: لايمنين أحد أمنية سوء، فإن البلاء موكل بالمنطق هذا المؤمل قال:

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر

فذهب بصره.

وهذا مجنون بنى عامر قال:

فلو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصا أصم ونادتني أجبت المناديا

فعمى وصم[3].

قال أبو عمرو الشيباني: إني نزلت بحيٍ من قضاعة، فخرجوا بجنازة رجلٍ من عذرة يقال له حريث بن جبلة، فخرجت معهم حتى إذا واروه

(١) فتح الباري لابن حجر ـ (١٥/ ١٦٣).

(٢) تنوير الحوالك ـ (١/ ٢٣٣).

(٣) معجم الأدباء للحموي ـ (١/ ٢٤١).

انتبذت جانباً عن القوم وعيناي تدمعان، ثم تمثلت بأبيات شعر كنت رويتها قبل ذلك:

يا قلب إنك من أسماء مغرور فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير؟

وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور

فقال رجل إلى جانبي يسمع ما أقول: يا عبد الله من قائل هذه الأبيات؟

قلت: والذي أحلف به ما أدرى، إلا أني قد رويتها منذ زمان.

قال: قائلها الذي دفناه آنفاً، وإن هذا ذا قرابته أسر الناس بموته، وإنك للغريب الذي وصف تبكي عليه.

قال: فعجبت لما ذكر في شعره، والذي صار إليه من قوله كأنه كان ينظر إلى موضع قبره.

فقلت: إن البلاء موكل بالمنطق[1].

قال أبو المظفر: قال فخر الدين ابن شيخ الشيوخ: لما حضر الفرنج دمياط صعد الكامل على مكان عالٍ، وقال لي: ما ترى ما أكثر الفرنج! ما لنا بهم طاقة؛ فقلت: أعوذ بالله من هذا الكلام؛ قال: ولم؟ قلت: لأن

(١) معجم الأدباء للحموي ـ (١/ ٥٠٠).

السعد موكل بالمنطق، قال: فأخذت الفرنج دمياط بعد قليل!

فلما طال الحصار صعد يوماً على مكان عال، وقال: يا فلان، ترى الفرنج ما أقلهم! والله ما هم شيء فقلت: أخذتهم والله قال: وكيف؛ قلت: قلت في يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فأخذوا دمياط، وقد قلت اليوم: كذا، والملوك منطقون بخير وشرة فأخذ دمياط بعد قليل»[1].

«عمل رجل من التجار شديد البخل فرحاً لأولاده وأكرم فيه كرماً زائداً، ويسمى عبد الرحمن الجوخي، وكان الناس لما يخرجوا من عنده يقول: سامح الجوخي يموت، فما مضى الفرح إلا ومات ثاني يوم الفرح، والبلاء موكل بالمنطق، وتقول العامة: ألسنة الخلق أقلام الحق»[2].

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ (٢/ ١٩٧).

(٢) يوميات شامية ـ (١/ ٦٥).

٢١- قوة كلمات العيب

إن الكلمات التي تتكلم بها لتعيب الناس، وتسخر منهم، وتستهزئ بهم، لها قدرة تاثيرية هائلة في جلب ما تعيب به الناس إلى نفسك، وإلى عالمك الخاص!، وهو أمر جربه الناس وتحدثوا به!

قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في هذا: «لا تسخر من شيء فيحور بك»!

معنى يحور أي يرجع عليك ويحل بك، ومثله قولهم: «لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك»[١].

«اجتمع الكسائي واليزيدي عند الرشيد فحضرت صلاة فقدموا الكسائي يصلي فارتج عليه قراءة قل يا أيها الكافرون!

فقال اليزيدي: قراءة قل يا أيها ترتج على قاريء الكوفة!

قال: فحضرت صلاة، فقدموا لليزيدي، فارتج عليه في الحمد، فلما سلم، قال:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلي... إن البلاء موكل بالمنطق»[٢].

وفي المثل المغربي: الذي يعيب في الصباح يلحقه في العشية .

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ـ (١/ ٩٥).

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ـ (١/ ٢٤٠).

٢٢- كيف تؤثر الكلمات

الآن وقد آمنت بعد قراءة الصفحات الماضية بقوة الكلمات، وتكونت عندك قناعة تامة بتأثير الألفاظ في الأشخاص والأحداث والأشياء، وجلب الخير أو الشر، واستدعاء الفرح أو الحزن، ربما تسأل كيف تعمل هذه القوة، ويتكون هذا التاثير؟

فلله في مخلوقاته قوانين وسنن، تنظم حركة كلّ شيء في هذا الكون، وتضبطه بدقة كبيرة، منها ما يتعلق بحياة البشر صعوداً ونزولاً، إعزازاً وإذلالاً، نفعاً وضرراً، صحة ومرضاً، نصراً وهزيمة، سعادة وشقاوة، فالوقائع والأحداث لا تمضي جزافا، وإنما تتبع هذه القواعد الثابتة، والنواميس الراسية.

إن نصوص القرأن والسنة حافلة ببيان هذه السنن وتلك القوانين، ودعوة الناس إلى التفكر فيها، ولقد أكدت تلك النصوص الشريفة أن هذه النواميس تسري على الناس كافة في جميع الدهور، وأن لا مجال فيها للمحاباة أو المجاملة لجنس أو شخص أو أمة، فهي ماضية لا تتبدل ولا تتحول، و لا تجامل ولا تحابي، ولا تستثني إلا بأمر الله لها!

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

الأحزاب: ٦٢

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ الفتح: ٢٣

ومن مقتضيات الإقرار بالعبودية لله سبحانه، ومستلزمات توحيده، الإيمان بهذه السنن، والتفقه فيها، ورعايتها حقّ رعايتها، حتى تستقيم حياتك، وتتيسر معيشتك، وتتحقق آمالك، وتدرك تفسير ما يدور حولك، وتعيش على بصيرة من أمرك.

من هذه القوانين أو تلك السنن: أن الله سبحانه جعل للكلمات قوة حقيقية، وتأثيراً فعالاً في الأشخاص والأحداث والأشياء إيجاباً وسلباً، خيراً وشراً، نفعاً وضراً، كل ذلك بإذن الرب تعالى ومشيئته، فجميع ذلك مرتبط بالقدر خيره وشره، فلا يخرج شئ في الكون عن أمره، ولا يعزب عن علمه، يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد!

ولذلك حفلت نصوص الكتاب والسنة بأمر الناس بالقول الحسن والكلمة الطيبة، ونهيهم عن الكلمات الخبيثة والألفاظ الشنيعة، وبلغ من كثرة عددها وشدة كثافتها بحيثُ ألفت في مجالها المؤلفات العديدة، وبينت هذه المصنفات عواقب الكلمات الطيبة، وشؤم الأقوال المستخبثة في الحياة الدنيا والآخرة، كما حفلت تلك النصوص المباركة بالكلمات الإيجابية المؤثرة في النفس الإنسانية، والتي تجلب الفوز والسعادة وراحة البال، وتحقق الكفاية والعافية والحفظ من الشرور والأضرار، كما

ترى ذلك واضحاً في تسابيح الصلوات، وأذكار الصباح والمساء، ووظائف اليوم والليلة، وسائر المناسبات.

على أنه لابد أن تعتقد أن الكلمات لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله سبحانه، وإذنه ومشيئته!، والأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ فِي المَخْلُوقَاتِ شَيْءٌ هُوَ وَحْدَهُ عِلَّةٌ تَامَّةٌ وَسَبَبٌ تَامٌّ لِلْحَوَادِثِ بِمَعْنَى أَنَّ وُجُودَهُ مُسْتَلْزِمٌ لِوُجُودِ الحَوَادِثِ، بَلْ لَيْسَ هَذَا إِلَّا مَشِيئَةُ الله تَعَالَى خَاصَّةً فَمَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

وَأَمَّا الْأَسْبَابُ المَخْلُوقَةُ كَالنَّارِ فِي الْإِحْرَاقِ وَالشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْإِشْبَاعِ وَالْإِرْوَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَجَمِيعُ هَذِهِ الْأُمُورِ سَبَبٌ لَا يَكُونُ الحَادِثُ بِهِ وَحْدَهُ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَيْهِ سَبَبٌ آخَرُ، وَمَعَ هَذَا فَلَهُمَا مَوَانِعُ تَمْنَعُهُمَا عَنْ الْأَثَرِ، فَكُلُّ سَبَبٍ فَهُوَ مَوْقُوفٌ عَلَى وُجُودِ الشُّرُوطِ وَانْتِفَاءِ المَوَانِعِ وَلَيْسَ فِي المَخْلُوقَاتِ وَاحِدٌ يَصْدُرُ عَنْهُ وَحْدَهُ شَيْءٌ. وَهَذَا مِمَّا يُبَيِّنُ لَك خَطَأَ المُتَفَلْسِفَةِ..»[1].

أما آلية هذا القانون، وكيف تعمل هذه القدرة، ويتكون هذا التاثير؟ في تغيير الظروف، وجلب الأحداث، فالكيف مجهول جداً، شأنه في ذلك شأن كثرة كاثرة من القوانين نرى آثار عملها، وتداعيات فعلها،

(١) جامع الرسائل: (١/ ٣٧٠).

ونجهل كيفية عملها جملةً وتفصيلاً، وإذا كنا لا نفهم كيف تعمل هذه القوة، فليس ينبغي أن نسارع في جحودها أو نكرانها، فكم من سنن الله الكونية لا نفهم كيف تعمل، ومع ذلك نستمتع بمنافعها! وما عليك ألا تفهم، وما يضرك، فليس مهماً أن تعرف كيف ستتحرك جميع الظروف والأشخاص والأحداث وتعيد من ترتيب ذاتها من أجل الاستجابة لتأثير كلماتك وقوة ألفاظك التي نطقت بها، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ الفتح: ٤

فالكلمات طاقة عظيمة لا ندرك حدودها ولا آفاقها، وإن محاولتك أن تفهم كيف يتم تأثير الكلمات في تغيير الظروف وتبديل الأمور وجلب الأحداث، ربما يعبر عن نقص في إيمانك بهذه القوة التي أثبتَ وجودَها، وأكدَ كينونتَها النصوصُ الإسلاميةُ، والطفرةُ العلميةُ الحديثةُ، وتجاربُ الناس قديماً وحديثاً!

٢٣- جاء الإسلام وغير الكلمات

ولما كان للكلمات هذه القوة في جلب الأحداث وصناعة المستقبل بين الإسلام خطر الكلمات، وكبر عواقبها، وأمر بحسن الكلام، وطيب الأقوال، ونهى عن مستقبح اللفظ، وشنيع التفوه، ثم تصفح لسان العرب فعمد إلى كثرة من الكلمات فغيرها إلى التي هي أحسن تأثيراً، وأحمد عاقبة، فمن أمثلة ذلك:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ البقرة: ١٠٤

وذلك أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله، من المراعاة أي أرعنا سمعك، أي فرغ سمعك لكلامنا .. وكانت هذه اللفظة شيئا قبيحا بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم اسمع لا سمعت.

وقيل: هي من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانا قالوا له: راعنا بمعنى يا أحمق! فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب محمدا سرا، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله

تعالى: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ البقرة: ١٠٤»[1].

والسبّابة من الأصابع: هي التي تلي الإبهام، قال القرطبي: وكانت في الجاهلية تدعى بالسبابة؛ لأنهم كانوا يَسُّبون بها؛ فلما جاء الله بالإسلام كرهوا هذا الاسم فسمّوْها المشيرة؛ لأنهم كانوا يشيرون بها إلى الله في التوحيد. وتُسمَّى أيضاً بالسبّاحة، جاء تسميتها بذلك في حديث وائل بن حُجْر وغيره؛ ولكن اللغة سارت بما كانت تعرفه في الجاهلية فغلبت[2].

ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم».

وأخرج مسلم من حديث وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة».

قال الخطابي في المعالم: إنما نهاهم عليه السلام عن تسمية هذه الشجرة كرما لأن هذا الاسم مشتق عندهم من الكرم، والعرب تقول: رجل كرم بمعنى كريم وقوم كرم أي كرام، فأشفق صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم حسن أسمائها إلى شرب الخمر المتخذة من ثمرها، فسلبها هذا الاسم، وجعله صفة للمسلم الذي يتوقى شربها ويمنع نفسه الشهوة فيها

(١) تفسير البغوي:

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ (١/ ٢٥٩).

عزة وتكرما. انتهى.

وقال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله: العرب تسمي شجر العنب كرما لكرمه، والكرم كثرة الخير والمنافع والفوائد...

فلما كان بهذه المنزلة سموه كرما، فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الفوائد والثمرات والمنافع التي أودعها الله قلب عبده المؤمن ـ من البر وكثرة الخير ـ أعظم من فوائد كرم العنب، فالمؤمن أولى بهذه التسمية منه.

فيكون معنى الحديث على هذا: النهي عن قصر اسم الكرم على شجر العنب، بل المسلم أحق بهذا الاسم منه.

وهذا نظير قوله «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب» أي مالك نفسه أولى أن يسمى شديدا من الذي يصرع الرجال.

وكقوله «ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والأكلة والأكلتان ولكنه الذي لا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه» أي هذا أولى بأن يقال له مسكين من الطواف الذي تسمونه مسكينا.

ونظيره في المفلس والرقوب وغيرهما.

ونظيره قوله «ليس الواصل بالمكافئ ولكنه الذي إذا قطعت رحمه وصلها» وإن كان هذا ألطف من الذي قبله.

وقيل في المعنى وجه آخر، وهو: قصد النبي صلى الله عليه وسلم

سلب هذا الاسم المحبوب للنفوس التي يلذ لها سماعه عن هذه الشجرة التي تتخذ منها أم الحبائث، فيسلبها الاسم الذي يدعو النفوس إليها، ولاسيما فإن العرب قد تكون سمتها كرما، لأن الخمر المتخذة منها تحث على الكرم وبذل المال، فلما حرمها الشارع نفى اسم المدح عن أصلها، وهو «الكرم» كما نفى اسم المدح عنها، وهو الدواء، فقال «إنها داء، وليست بدواء»، ومن عرف سر تأثير الأسماء في مسمياتها نفرة وميلا عرف هذا، فسلبها النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاسم الحسن، وأعطاه ما هو أحق به منها، وهو «قلب المؤمن»[1].

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ـ (١١/ ١٠).

٢٤- صحتك بالكلمات

درج أهلنا في مصر إذا سئلوا عن مريض أن يقولوا هو بعافية، ويتحاشون القول بأنه مريض، كما تعود أهلنا في المغرب أن يسموا النار عافية، وذلك من أهلنا من باب التفاؤل بحسن العاقبة والشفاء والعافية!

وهكذا كان العرب، ففي حديث أبي سعيد، قال: «**كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ إِنَّ سَيِّدَ الحُيِّ سَلِيمٌ وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ فَهَلْ مِنْكُمْ رَاق** ... والحديث في الصحيحين، وتعني بالسليم : اللديغ، سمته سليما رجاء سلامته!

فالصحة في لسانك إن ابتغيتها لك أو لمن تحب، برهان ذلك:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ. فَقَالَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إن شَاءَ اللهَّ. فقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: طَهُورٌ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، كَيْمَا تُزِيرَهُ الْقُبُورَ! قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَنَعَمْ إِذًا»[1].

وقد أَخرجه الطبراني والدولابي، وَفِي آخِره: «أما إذا أبيت فهو كما

(١) أخرجه البخاري: (٥٢٢٤) (٥٢٣٠) (انظر شرح الحديث: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:(٥/ ٢٥٣).

تقول، وما قضى الله من أمر فهو كائن».

قال: فما أمسى الرجل من غد إلا ميتا»[1].

ويدل على ذلك أيضاً حَدِيث سَهْل بْن حُنَيْفٍ عِنْد أَحْمَد وَالنَّسَائِيِّ وَصَحَّحَهُ اِبْن حِبَّان مِنْ طَرِيق الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْن سَهْل بْن حُنَيْفٍ «أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْو مَاء، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشِعْبِ الْخَزَّارِ مِنْ الْجُحْفَة اِغْتَسَلَ سَهْل بْن حُنَيْفٍ - وَكَانَ أَبْيَض حَسَن الْجِسْم وَالْجِلْد - فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِر بْن رَبِيعَة فَقَالَ : مَا رَأَيْت كَالْيَوْم وَلَا جِلْد مخُبَّأَة، فَلُبِطَ - أَيْ صُرِعَ وَزْنًا وَمَعْنًى - سَهْل !

فَأَتَى رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلْ تَتَّهِمُونَ بِهِ مِنْ أَحَد؟ قَالُوا: عَامِر بْن رَبِيعَة .

فَدَعَا عَامِرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ فَقَالَ : عَلَامَ يَقْتُل أَحَدكُمْ أَخَاهُ ؟ هَلَّا إِذَا رَأَيْت مَا يُعْجِبك بَرَّكْت . ثُمَّ قَالَ : اِغْتَسِلْ لَهُ، فَغَسَلَ وَجْهه وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَاف رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَة إِزَاره فِي قَدَح ... الحديث

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ (٣٥٠٩) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ «مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مخُبَّأَةٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ

(١) الكنى والأسماء للدولابي ـ (٢/ ٢٤١).

أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا قَالَ مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ قَالُوا عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ قَالَ عَلَيَّ مَاذَا يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ ».

قوله: فليدع بالبركة فيه دليل على أن العين لا تضر ولا تعدو إذا برك العائن، فواجب على كل من أعجبه شيء أن يبرك فإنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة، والتبريك أن يقول تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه»[1].

وفي هذه الأحاديث دلالة ظاهرة، وبرهان كبير على أن الله بحكمته البالغة التي لا تدركها عقولنا القاصرة قد جعل في الكلمات التي نتفوه بها قوةً وتأثيراً بإذنه ومشيئته، في جلب الصحة أو المرض وأن كلّ ذلك مرتبط بما قضاه وقدره، وليس بخارج عما كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

(١) عمدة القاري: (٢١/ ٢٦٥).

٢٥- العلاج بالكلمات الحلوة

«الكلمة الحلوة لها تأثير فعال علي بعض مراكز المخ! الدكتور محمد أحمد عويضة استاذ الطب النفسي جامعة الازهر يؤكد أن الانسان هو الكائن الوحيد الذي تؤثر فيه الكلمات[1]، وكلمة واحدة تسعده، وكلمة أخري قد تسبب له الشقاء، وهذه الكلمة تؤتي آثارها في الجسم كله بالسلب أو الا يجاب، فالكلمات الحلوة المشجعة تعطيه نشاطا زائداً، والكلمات الجارحة أو التي تقلل من قدره وتذكر عيوبه تجعله قعيداً في الفراش وقد حلت عليه كل أمراض الدنيا، والكلمات الحلوة الجميلة لها تأثير السحر ليس علي المستوي النفسي والمعنوي فقط، إنما علي المستوي الصحي والجسمي، وتفسير ذلك أن الكلمات أو الجمل الجميلة لها تأثير علي بعض مراكز المخ التي تساعد علي إفراز مادتي الاندروفين وانكيفالين اللتين تؤثران علي مراكز الانفعال تحت المهاد، وتؤثر بدورها علي إفراز الغدد الصماء وعلي الجسم كله، فلا تجعله يشعر بالألم وتمده بالطاقات المتجددة، فلا عجب أن وجدنا أن الكلمة الحلوة الطيبة تساعد علي استعادة الجسم لوظائفه وتعمل علي

(١) بل هنتك كائنات كثيرة تؤثر فيها الكلمات كما سوف نثبت بإذن الله.

ضبط معدل الضغط لدي مريض الضغط، وتضبط السكر في الدم ومن كان في صدره ضعف أوضيق في التنفس تجعله أكثر قدرة علي التنفس، ومن يعاني صعوبة في الهضم والقولون تجعله أكثر راحة، كما أنه من المعروف أن الكلمات الجميلة لها تأثيرها الرائع في القضاء علي آلام الصداع.. لاعجب أن الكلمة الطيبة تؤثر علي الروح المعنوية للانسان فتجعله منشرح الصدر فرحا سمحا مبتهجا قادرا علي مصالحة نفسه ومصالحة الاخرين بل ومصالحة أعدائه.

هذه الكلمة الجميلة الطيبة التي تحمل التشجيع والتي تسعد الانسان اذا اقترنت بالنجاح في تحقيق هدف أو عدة أهداف تجعله قادرا علي اجتياز اصعب العقبات.. كما أن معظم الابناء المتفوقين كان وراءهم أمهات يكثرن من جمل الاطراء والتشجيع التي جعلتهم لايشعرون بالمتاعب الذهنية أو الآلام الجسدية، فضاعفوا من ساعات جلوسهم علي المكاتب وساعات تحصيلهم الدراسي، وأيضا السيدة الحامل التي أوشكت علي الولادة والتي يقف زوجها بجوارها في تلك اللحظات ممسكا بيدها، يبثها كلمات التشجيع تكون أكثر قدرة علي تحمل آلام الولادة، والزوجة التي تقول كلمة جميلة طيبة لزوجها قبل خروجه صباحا تمنحه طاقة إيجابية تجعله أكثر قدرة علي الانجاز في العمل كما تجعله يتحمل بعض المضايقات التي قد يجدها من زملائه.

وعن تفسير حالة الإنسان السعيد الذي منذ لحظات أو للتو قد سمع كلمات الاطراء الجميلة... فنجده يمشي بسرعة ونشاط زائد حتي يصف نفسه أنه يكاد يطير من الفرحة، فإن طاقات السعادة التي لديه قوية لدرجة أنه يقاوم قوة الجاذبية الارضية فلا يشعر بها، مقارنة بالانسان المتخاذل الحزين الذي سمع كلمات عدم التقدير أو التوبيخ فنجده يمشي مطأطيء الرأس مقوس الكتفين منحنيا، وقد بلغ من الضعف أن الجاذبية الأرضية قادرة علي جذبه إلي أسفل وكأن الارض ستنشق وتبتلعه، فالطريق إلي السعادة اقرب إلينا من حبل الوريد... فإذا أردنا أن نكون سعداء... فالأجدر بنا أن يكون الكلام بيننا حلوا جميلا .. وقد علمنا رسول الله صلي الله عليه وآله أن الكلمة الطيبة صدقة.. وما أحلي أن تكون الكلمات الجميلة نابعة من قلوبنا وليست مجرد مجاملة، أو كلمات جوفاء وذلك بأن ننظر إلي مناطق الجمال في كل شيء حولنا، ولانركز علي نقاط الضعف أو القبح، فتنطبع الأشياء في وجداننا جمالا حقيقيا، وهو مايسمي بالادراك الانتقائي، وعلي الانسان أن يختار مايريد أن يتأثر به، فاذا كان يريد أن يري الوجود جميلا فله ذلك، علي أن يحول مشاعره إلي كلمات رائعة، ومن أراد غير ذلك فلن يصله إلا مايرغب، وستكون كلماته بغيضة غير محببة للنفس مؤذية لمشاعر الآخرين، وله في النهاية أن يختار... ولكن النصيحة التي نقدمها: أنه لاينبغي البحث عن الرتوش

القبيحة في اللوحات النادرة، ولا يصح أن نبحث عن بعض الأوراق اليابسة في الأفرع اليانعة الخضراء [1].

(١) http://www.٦abib.com/ask/archive/index.php?t٢٤٥٥.html.

٢٦- الأحكام بالكلمات

لقد علق الرب تبارك وتعالى بحكمته البالغة كثرةً من الأحكام الشرعية بالكلمات، مما يبرهن على قوتها وأثرها وعظيم شأنها، والأمثلة على ذلك من الكثرة بمكان!

فالدخول في الإسلام بالكلمات أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، والخروج منه بالاعتقاد أو الأعمال أو الكلمات، والإيمان قول وعمل..

والزواج ركناه بالكلمات، بالإيجاب: كزوجتك موليتي، والقبول: قبلت زواجها

وفي الحديث: «اتَّقُوا الله فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتمُوهُنَّ بِأَمَانِ الله وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهَّ»[1].

والخلع والطلاق بالكلمات، والظهار: أنت علي كظهر أمي، كلمات و القذف واللعان والمباهلة بالكلمات.

والحلف كلمات، والنذر كلمات.

وتحليل الذبائح وتحريمها بالكلمات ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن

(١) رواه مسلم: (٢١٣٧).

كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ الأنعام: ١١٨.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

٢٧- أيها الدعاة: زينوا دعوتكم بحسن الكلمات

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ النحل: ١٢٥

ومن الحكمة والموعظة الحسنة أن ينتقي الدعاة والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الكلمات الحسنة ويتحرون الأقوال اللينة، لما لها من أثر في تأليف القلوب وتطييب النفوس.

قال يحيى بن معاذ: «أحسن شيء: كلام رقيق، يستخرج من بحر عميق، على لسان رجل رقيق».

ويقول ابن الجوزي: «أماتخشين القول ــ يعني للحكام ــ نحو: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شررها إلى الغير لمَ يجز، وإن لمَ يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء».

قال ابن مفلح معلقًا: «والذي أراه المنع من ذلك»[1].

«قال رجل للرشيد، وهو في الطواف: أريد أن أكلمك بكلام فيه خشونة فاحتمله! فقال الرشيد: لا، ولا كرامة، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني، فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ طه: ٤٤»[2].

(١) انظر الآداب الشرعية (١/ ١٩٦).

(٢) الشهب اللامعة (٧١)..

٢٨- نجاح حياتك الأسرية بالكلمات

للكلمة طيبة كانت أم خبيثة، تأثير إرادي وغير إرادي، شئنا أم أبينا، والتأثير غير الإرادي أشد وأقوى، لعلك تشعر في أحايين كثيرة بسعادة غامرة، وراحة نفسية هائلة لا تعرف لها سببا واضحا، وعندما تتأمل الأحداث فلسوف تجد أن السبب أن كلمات طيبة قد ألقيت على مسامعك، وعندما تجد نفسك كئيبة ومزاجك عكرا، فالغالب أنك سمعت شيئا أزعج خاطرك، فالكلمات تفرحنا وتشقينا!

لعلك دخلت بيتاً شعرت فيها بسعادة غامرة وسرور كبير، ولربما لمست فيها بوضوح الترابط الأسري، والتفاهم العائلي، والتميز الشخصي في صفات أهل البيت صغيرهم وكبيرهم، فرب البيت قرير العين بحسن تبعل زوجته، وتميز رعايتها لأفراد أسرته، ودماثة خلقها مع أقاربه، كما أنه سعيد باستقامة أبنائه، وسلامة سلوكهم، وتفوقهم الدراسي، كما أن ربة البيت تهنأ بحسن معاملة زوجها، ومسارعته لمرضاتها، إن هذه البيوت مفعمة بالكلمات الإيجابية، والألفاظ الطيبة.

فرجل البيت يصبح زوجته ويمسيها بأجمل الكلمات وأحلى العبارات: يومك سعيد، ما أروع الحياة معك، إنني أحبك، أشكر لك

اهتمامك بأبنائي، أنا محظوظ بك، كل شئ فيك حسن، ما أطيب طعامك، عطرك جميل، إكرامك لأهلي جميل أحفظه لك....

كما أن زوجته تبادله أرق الكلمات: أنت رجل عظيم، أنت جنتي، ما أسعدني بك...

كما أن لسانهما لا يزال رطباً بالثناء على أبنائهما، ونعتهما لكل واحد منهم بما يناسبه: إنني أحبك، أنت مبارك، أنت بار، أنت ذكي، طيب، متميز، مطيع، متفوق، صالح، محافظ على صلواتك...

ما قالا لأحد منهم قط: يا فاشل، يا غبي، يا كسلان، يا وجه النحس...

عندما تعود الى بيتك، فابدأ الدخول بذكر الله ودعاء دخول البيت وسلم على نفسك وأهلك وأسرتك بتحية الإسلام المباركة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي صحيح مسلم (٥٣٨١) عن جابر، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ الله عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ الله عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»[1].

(١) مسلم (٥٣٨١).

ثم بادر زوجك وأبناءك وبناتك بالكلمات الحلوة، والالفاظ السعيدة، والأدعية الحانيه، أحبكم.. اشتقت إليكم.. ما أطيب الحياة بكم.. حفظكم الله..وأسعدكم الله..

روى مسلم (٦٤٦٧) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِى مَاتَخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم شَيْئًا فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ «مَرْحَبًا بِابْنَتِى». ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ.. الحديث.

إن هذه الكلمات كفيلة باذن الله أن تضفى على بيتك أجواء الفرح والسرور، وهالات الطمأنينة والسكينة، كما أن هذه الالفاظ توفر الصحه النفسية والبدنية، ولسوف تغنيك عن الزيارات المكرورة للعيادات والمستشفيات.

أسمع زوجك كلمات الحب والثناء.... ولا تعكر صفوها بكلمة نابية، أو لفظة جارحة إذا أردت أن تعيش في سلام ووئام.

أسمع أبناءك وبناتك كلمات التحفيز.. والتشجيع.. ولا تدمر مستقبلهم بألفاظ الخيبة والفشل والغباء..... الجميع سيكون رهن إشارتك بالكلمات!!!

إنهم في حاجة إلى العطف والحنان.. وإن لم يجدوه عندك بحثوا

عنه في مكان آخر.. قرب أفراد أسرتك، وألن لهم الجانب وأسمعهم أحلى الكلمات وأرق الألفاظ.

قال البراء رضي الله عنه: «دخلت مع أبي بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى، فرأيت أباها يقبل خدها، وقال: «كيف أنت يا بنية».

«كتب الصحفي بوب جرين في إحدى مقالاته، والتي كان عنوانها (أربع كلمات غيرت مجرى حياتي): بدأ المقال بتوضيح المشهد الذي عايشه في مكان عام. فقد شاهد أمّاً غاضبة على ما يبدو من ابنها الصغير وسألته بصوت عال: (هل أنت غبي لدرجة تمنعك من أن تفعل أي شيئ على نحو صحيح) ملاحظة جرين لهذا الحدث جعلته يفكر ليس فقط في تأثير كلمات الأم على ابنها ولكن المدة التي سيدوم تأثيرها عليه. كتب يقول: (ربما لا تكون لحظة كبيرة ، لكن لحظات صغيرة تدوم أحيانا لوقت طويل جدا. وكلمات قليلة رغم أنها لا تعني الكثير بالنسبة لمن قالها يمكن أن يكون لها تأثير هائل. فكلمات مثل (هل أنت غبي لدرجة تمنعك من فعل اي شيئ على النحو الصحيح) يمكن أن يكون لها صدى تعليقات جرين تدعم نقطتين أساسيتين هما:

أولا: نحن في حاجة لأن نكون أكثر وعيا بتأثير كلماتنا على الآخرين.

ثانيا: نحن في حاجة الى أن نفهم الكلمات التى كثيرا ما نتفوه بها بلا مبالاة أو عندما نكون في حالة انفعالية معينة يمكن أن يكون لها تأثير باق.

قال أحدهم: كنت اتكلم مع أولادي فى طفولتهم قائلا: أنتم ستنمون أقوياء جسديا، بدون مرض أو ضعف، ستكونون أذكياء عقليا وأقوياء روحيا.

مضت سنوات، وبدأ الناس يتكلمون عن أولادى: يوجد شىء فى أولادك فهم لم يمرضوا أبداً! لماذا؟

لأنى علمت أنى أقدر أن أنال ما أقوله..

الأطفال هم إنتاج الكلمات، الكلمات التى يسمعونها صباحا تظل معهم طوال اليوم.

كم من الأمهات تدرك أن الكلمة اللاذعة أو القارصة فى صباح اليوم تسلب زوجك المقدرة على العمل طوال اليوم، تسلب أطفالك المقدرة على التركيز طوال اليوم. لكن كلمات محبة ولطف ورقة وحنان مع كلمات دعاء قصيرة تملؤهم بالفرحة والنشاط وتقود زوجك إلى النصر!

تعلم أن تجعل كلماتك تعمل لأجلك ليس ضدك، تعلم أن تملىء كلماتك بقوة لا يمكن أن تقاوم، ولن يحدث ذلك إلا عندما تملئها

بالمحبة والإيمان.

لابد أن يدرك الآباء أن «جو البيت» هو إنتاج الكلمات...

«فى عام ١٩٥٨ كنت فى رحلة مع عائلتي بالسيارة، وأثناء الطريق تذكرنا منزل أحد الخدام، وكان لنا فترة طويلة لم نزره، فقررنا أن نقضى فترة قصيرة عنده. فدخلت أنا وزوجتي إلى المنزل، وبمجرد أن جلسنا على الكراسى حتى تكلمنا قائلين: كلمات جارحة قيلت فى هذا المنزل، جو المنزل مقبض، لقد شعرنا به للتو. عندما نشوى سمك فى حجرة تظل الرائحة عالقة فى الجو، هكذا أيضا الكلمات تظل عالقة فى الجو المحيط.

الكلمات تظل عالقة فى الهواء، وإن لم تصدق هذا افتح الراديو ستجد شخصا يتكلم، هذا الكلام أتى عن طريق الهواء. وعندما بدأنا نتكلم مع الراعى وزوجته اكتشفنا أنه يوجد عدم اتفاق بينهما...

جو منزلك هو انتاج كلامك.

فشل أولادك يأتى بسبب كلمات خاطئة قيلت له.

فشل أو نجاح أولادك يتوقف على كلامك الذى تتفوه به إليهم .

لماذا تجد عائلات قوية وناجحة فى الحياة والبعض الأخر على النقيض تماما؟ بسبب الكلمات التى قيلت فى هذه البيوت .

عندما تحدثت زوجة هذا الراعى مع زوجتى بدأت تحكى لها عن ابنها الأكبر وقالت: لا استطيع أن أفعل أى شىء مع أبنى الأكبر.. الكلمات تقدر أن تجعل ابنك يحب الدراسة أو يكرهها...»[1].

لابد أن يدرك الآباء والأمهات أن «جو البيت» هو إنتاج الكلمات وما أجمل جو البيت وأعذبه وما أطيب الحياة فيه، إذا عُمّر بكلمات الله وذكره، وكثرت فيه الصلوات المباركات.

١. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يُذكر الله فيه مَثَلُ الحي والميت» متفق عليه[2].

٢. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده، فليجعل لبيته نصيبا من صلاته، فإن الله جاعلٌ في بيته من صلاته خيرا» رواه مسلم[3].

ثم انظر كيف صاغت كلمات النبوة أطفال الجيل الأول!؟

عن عمر بن أبي سلمة قال: « كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى

(١) http://www.stpauls.se/phpBB٢/viewtopic.php٤.

(٢) البخاري (٦٤٠٧)، مسلم (٧٧٩) واللفظ له.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (٧٧٨).

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا غُلَامُ سَمِّ الله وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ »[1].

عن ابن عباس، قال: «كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ الله يحَفَظْكَ احْفَظْ الله تجِدْهُ تجُاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ الله وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ »[2].

وفي رواية الحاكم: «أهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة أهداها له كسرى، فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه، ثم سار بي مليا، ثم التفت فقال: «يا غلام» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: « احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الناس أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد الناس أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه،

(١) متفق عليه: البخاري ٤٩٥٧ مسلم: ٣٧٦٧.

(٢) حديث صحيح رواه الترمذي: (٢٤٤٠).

فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، واعلم أن مع الصبر النصر، واعلم أن مع الكرب الفرج، واعلم أن مع العسر اليسر»[1].

عن سهل بن سعد، قال: «أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالْأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاخَ قَالَ مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ الله فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ »[2].

عن ابن مسعود، قال: «كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَمَرَّ بِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ فَقَالَ يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ وَلَكِنِّي مُؤْتمَنٌ قَالَ فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ فَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَنَزَلَ لَبَنٌ فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ فَشَرِبَ وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ اقْلِصْ فَقَلَصَ قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَالَ فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ يَرْحَمُكَ الله فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ».

وفي رواية: «ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُلْتُ عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ قَالَ إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ قَالَ فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً »[3].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ـ (١٦/ ٣٦١) .

(٢) متفق عليه: البخاري(٢١٨٠)، (٣٧٨٦) .

(٣) رواه أحمد: ((٧/ ٤٥٢) وأبو يعلى: في مسنده (١٠/ ٢٤١) ٤٨٥٥ .

عن أبي أيوب عن أبي هريرة، قال: «دَخَلْتُ مَعَهُ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَرَأَى غُلَامًا فَقَالَ لَهُ يَا غُلَامُ اذْهَبْ الْعَبْ قَالَ إِنَّمَا جِئْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ قَالَ يَا غُلَامُ اذْهَبْ الْعَبْ قَالَ إِنَّمَا جِئْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ قَالَ فَتَقْعُدُ حَتَّى يَخْرُجَ الْإِمَامُ قَالَ نَعَمْ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَجِيءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَتَقْعُدُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَيَكْتُبُونَ السَّابِقَ وَالثَّانِيَ وَالثَّالِثَ وَالنَّاسَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ الْإِمَامُ فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَتْ الصُّحُفُ»[1].

«قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[2].

(١) رواه أحمد: (٢٠/ ٤٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٧٨).

٢٩- تمتع بعلاقات طيبة مع الناس بكلماتك

إن الكلمات تصنع أحسن العلاقات، وأفضل المجتمعات، إنك تستطيع أن تستمتع بعلاقات جميلة مع الأقارب والأصدقاء والجيران والزملاء في العمل، وغير هؤلاء، إذا استعملت جميل الألفاظ، ولطيف العبارات، ولذلك أمر الإسلام بإفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف، إن جملة السلام تحمل أجمل الكلمات وأحسن المعاني... السلام.. الرحمة.. البركات

لقد تعجبت من أخي وصديقي شريف الجزائري وكان يرافقني في رحلتي الدعوية في كندا، إذ له قدرة كبيرة للدخول إلى قلوب غير المسلمين في دقائق معدودة بكلماته المعسولة، حتى إنك تشعر أنهم يعرفونه من زمن بعيد،

وتذكرت قول (أمير المؤمنين) علِي بن أبي طالب رضي الله عنه: «مَن لانَتْ كلمته، وجبت محَبَّتهُ».

وتذكرت قوله سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣.

عن أبي جعفر وعطاء بن أبي رباح في تفسير الآية: للناس كلهم، من

لقيت من الناس فقل له حسنا من القول[1].

وقال أبو العالية: معناه قولوا لهم الطيب من القول وحاوروهم بأحسن ما تحبون أن تحاوروا به[2].

وقال محمد بن علي بن الحسين: كلموهم بما تحبون أن يقولوا لكم[3].

(١) جاء في تفسير جامع البيان للطبري ـ (٢/ ٢٩٦).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ـ (١/ ١٠٩).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ـ (١/ ٩٢).

٣٠- حسِّن كلماتك

ولما كان للكلمات هذه القوة، وذلك التأثير، كان لزاما أن ترطب لسانك بالكلمات الحسنة، وتطيب منطقك بالألفاظ السعيدة، وبعبارة أخرى: يجب عليك أن تحسن كلماتك، وتُجمِّل ألفاظك، وأنتختارها بدقة، وتنتقيها بعناية، وهو أمر جدٌّ سهل ميسور إذا عودّتَ لسَانك عليه، لتجلب لنفسك بإذن الله السعادة والصحة والأرزاق والأموال وراحة البال وجميع ما تحب، وتصرِفَ عنها الهموم والأحزان والفلس والأمراض وسائر ما تكره.

ولذلك حث الإسلام على طيب القول، وحسن الكلام.

ففي القرآن الكريم الحثُّ على: القول المعروف، والقول السديد، والقول البليغ، والقول الكريم، والقول الميسور، والقول اللين.

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾ النساء: ٥، ﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ النساء: ٩، ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝٦٣﴾ النساء: ٦٣، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾ الإسراء: ٢٣، ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾ الإسراء: ٢٨، ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ طه: ٤٤، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ الأحزاب: ٧٠.

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ البقرة: ٨٣، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ البقرة: ٢٦٣.

وفي الأحاديث الصحيحة الشريفة:

قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تمَرَةٍ فَإِنْ لَمْ تجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[1]، «يُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الْكَلِمَةُ الحَسَنَةُ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[2]، «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[3].

(١) أخرجه البخاري (٥٥٦٤).

(٢) أخرجه مسلم: (٤١٢٣).

(٣) رواه البخاري:(٥٦٧١).

٣١- عواقب الكلمات الطيبة

ومما يدل على أهمية الكلمات وخطورة الألفاظ، أن الله تعالى جعل للقول الجميل والكلمة الطيبة أحسن العاقبة وأعظم الأجر في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أما في الحياة الدنيا، فإن للكلمات الطيبة تأثيراً كبيراً في جلب الخير والسعادة والنجاح والصحة والثراء، وكسب العلاقات والمودات بإذن الله.

ففي الأحاديث المتفق على صحتها: «اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ تَعَوَّذْ بِالله مِنْ الشَّيْطَانِ فَقَالَ أَتُرَى بِي بَأْسٌ أَمَجْنُونٌ أَنَا اذْهَبْ»[1].

«أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ وَقَالَ بِسْمِ الله اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَرُزِقَا وَلَدًا لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»[2].

---

(١) متفق عليه: البخاي: (٥٥٨٨) ومسلم:(: (٤٧٢٦).

(٢) متفق عليه: البخاري: (٣٠٣١)، ومسلم: (٢٥٩١).

وفي صحيح مسلم: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[1].

أما حُسن ثواب الآخرة، فحسبك تينك الحديثين من أحاديث صحيح البخاري:

«مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»[2]، «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ»[3].

(١) أخرجه مسلم:(٤٨٨١).

(٢) أخرجه البخاري: (٥٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري: (٥٩٩٧).

٣٢- عواقب الكلمات الخبيثة

ومما يبرهن كذلك على خطورة الكلمات الخبيثة والألفاظ الشريرة، ما يترتب عليها من عواقب وخيمة وآثار سلبية في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فإن للكلمات السلبية قوةً كبيرةً في جلب الهموم والأحزان والفشل والخيبة والخسران والأمراض بل والموت، بإذن الله، كما في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ. فَقَالَ: لا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إن شَاءَ اللهَّ، فقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: طَهُورٌ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، كَيْمَا تُزِيرَهُ الْقُبُورَ! قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَنَعَمْ إِذًا»[(١)].

وقد أَخرجه الطبراني والدولابي، وَفِي آخِره: «أما إذا أبيت فهو كما تقول، وما قضى الله من أمر فهو كائن » قال: فما أمسى الرجل من غد إلا ميتا»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري: (٥٢٢٤) (٥٢٣٠) وانظر شرح الحديث: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:(٥/ ٢٥٣).

(٢) الكنى والأسماء للدولابي ـ (٢/ ٢٤١).

أما في الآخرة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[1].

وحديث أمنا عائشة رضي الله عنها: «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا.. تَعْنِي قَصِيرَةً! فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لمَزَجَتْهُ»[2].

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري: (٥٩٩٧).

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود: (٤٢٣٢).

٣٣- اجتنب الكلمات السلبية في حياتك

لا تنبس أبداً بكلمات الشر والسلب، ولا تتكلم بألفاظ الفشل والخيبة، ولا تكمل أبدا التفوه بجملة سلبية، لما لها من تأثير بغيض في حياتك كلها، من جلب الشرور والأسواء والآفات والمشكلات، أرجو أن تقوم بحذف الكلمات الآتية وأمثالها من قاموسك، فإن البلاء موكل بالمنطق!

- أنا فاشل .
- ليس لي حظ .
- أنا فقير .
- أنا تعيس في حياتي .
- حياتي كلها تعب ونكد .
- أشعر بخيبة أمل .
- أشعر بملل أو طفش .
- أشعر بمصيبة قادمة .

«اكتشافات العلم الحديث تخبرنا أن مركز الكلام بالمخ له سيطرة عظمى على مراكز الأعصاب بأنحاء الجسم...

لو استمر أحدنا بالقول: «أنا ضعيف...أشعر بالهزال....لا قوة

عندي، فسوف تستقبل كل أعصابه هذة الرساله وترسلها إلى كافه الأعضاء ليفهم الجميع ويقولوا «آه... دعونا نستعد اذا للضعف... إننا ضعفاء».

كم من مرة سمعنا عن رجل أحيل إلى التقاعد (المعاش) ولم تمض فترة يسيرة حتى سمعنا بأن هذا الرجل مات فجأة أو أصيب بجلطة... لقد استسلم الرجل إلى فكرة أن عطاءه وانتاجه بهذة الحياة قد انتهى .... وبالتالي فهو بلا فائدة..... لم يبق له بهذه الدنيا غير أن يعدّ أيامه نحو القبر، استسلم لهذة الفكرة التي أقنعه بها عدو الخير حتى تملكت منه وتحولت من فكرة الى حقيقة..... وانتهى!

الكثير منا واجه اموراً لم تسر بحسب ما خطط لها..... فاعتقد بأن هذا يدعى فشلا واستسلم للفكرة ولم يقاومها.... استسلم لكلمة أنا انسان فقري، ولدت فقيرا وسأبقى فقيرا مهما حاولت لأنني هكذا خلقت، الأفضل أن أستسلم لما أراه فشلاً، فإنسان مثلي مهما حاول لن ينجح..... مثل هذا الأنسان ستكبله أرواح اليأس لأنه مستسلم للكلام السلبي!

لا تتكلم بطريقة سلبية ابدا .

لقد تعودنا في الشرق أن نتكلم سلبيا حتى لو كنا بقمة الفرح.... إذ

نقول: آه اكاد أموت من الفرحة، تناولت طعاما كثيرا سوف أختنق سأموت من الخوف، لا تضحكوا كثيرا حتى لا ينقلب الضحك بكاءا، أحس بأنني أموت من الحر هنا لا عجب إذن أن نلاقي السلبية عندما ننتظرها

قبل أن تتحسر على نفسك وتطلب من الله تغيير حياتك، لم لا تغير لغتك؟؟

إن لم تغير لغتك السلبية، فلن تستطيع تغيير أسلوب حياتك، أملأ جهازك العصبي بإشارات القوة والنصر والأثمار!

الكلمات التي تتكلم بها فى حياتك اليومية تفعل عدة أشياء .. الكلمات التى تتكلمها تكشف ما تؤمن به .. الكلمات التى تتكلمها تضع حدودا لحياتك... الكلمات التى تتكلمها تؤثر على روحك.

تذكر دائما: أنك لن ترتفع أبدا فوق مستوى كلماتك، لن تذهب أبعد من مستوى كلامك. لقد اكتشفت أن سبب هزيمة الكثيرين هو اعترافاتهم الخاطئة المليئة بالشك والسلبية...تذكر: أنك لن تقدر أن تنجز شيئاً دون كلماتك»[1].

(١) http://www.lifechangingtruth.org/Arabic/Books/K_Hagin/ThePowerOfTheSpokenWords.htm

٣٤-قابل الكلمات السيئة بكلمات حسنة

لن تكون حياتك سعيدة، وعيشتك هنية، إلا إذا أتقنت مهارة عظيمة، لا يتقنها إلا المتميزيون من البشر، أن تقابل الإساءة بأحسن الكلمات وأجملها، وهي كفيلة بقلب العدو صديقاً حميماً، وبتغيير المواقف والأحداث لصالحك، ولعلو شأنها تكررت الوصاية بها في نصوص القرآن والسنة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ فصلت: ٣٤ - ٣٥

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ الفرقان: ٦٣.

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري: إذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب[1].

وقال ابن كثير: أي: إذا سَفه عليهم الجهال بالسّيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرًا، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما..

---

(١) جامع البيان للطبري ـ (١٩/ ٢٩٥).

وقال مجاهد: ﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ الفرقان: ٦٣ يعني: قالوا: سدادًا.

وقال سعيد بن جبير: ردوا معروفًا من القول.

وقال الحسن البصري: ﴿قَالُوا۟ [سَلَـٰمًا]﴾: حلماء لا يجهلون]، وإن جهل عليهم حلموا[1].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ القصص: ٥٥ .

أي: إذا سَفه عليهم سَفيه، وكلمهم بما لا يَليقُ بهم الجوابُ عنه، أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب[2].

«وقال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرَّغنَّ لك. قال: هنالك وقعت في الشغل؟ قال: كأنك تهددني، والله لئن قلت لي كلمة لأقولنَّ لك عشراً، قال: وأنت والله لئن قلت لي عشراً لم أقل لك واحدة».

وقال رجل لأبي بكر رضي الله عنه: واللهّ لأَسُبَّنك سبًّا يَدْخل القبرَ معك؟ قال: معك يَدْخل لا مَعي.

وشَتم رجلٌ الشَعبيّ، فقال له: إن كنتَ صادقاً فغَفر اللهّ لي، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ـ (٦/ ١٢٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ـ (٦/ ٢٤٥).

وشَتم رجلٌ أبا ذَرَّ فقال: يا هذا، لا تُغْرق في شَتْمنا ودَعْ للصُّلح مَوْضعاً، فإنا لا نُكافيء مَن عصى الله فينا بأكثر من أن نُطيع الله فيه.

ومَرَّ المَسيح بن مَرْيم عليه الصلاةُ والسلام بقوم من اليهود، فقالوا له شرًّا، فقال خيراً؛ فقيل له: إنّهم يقولون شرًّا وتقول لهم خيراً؟ فقال: كلّ واحد يُنفق مما عنده.

وأسمع رجلٌ عمر بن عبد العَزيز بعضَ ما يَكْره، فقال؛ لا عليك، إنّما أردتَ أن يَسْتِفزَّني الشيطانُ بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تنالُه مني غداً، انصرفْ إذا شئت.

وقيل: حِلْمك على السَّفيه يكثر أنصارك عليه.

قال الأحنف: مَن لم يصبر على كلمة سَمِع كلمات.

وقال: رب غَيْظ تجرعته مخافةَ ما هو أشدُّ منه [1].

(١) العقد الفريد ـ (١/ ص١٧٨ـ ١٧٩).وانظر: الأخلاق الضائعة للمؤلف

٣٥- كيف تحفظ كلماتك؟

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «وأما اللفظات: فحفظها بأن لا يخرج لفظة ضائعة، بأن لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر: هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر: هل تفوت بها كلمة هي أربح منها؟ فلا يضيعها بهذه...

وإذا أردت أن تستدل على ما في القلب، فاستدل عليه بحركة اللسان؛ فإنه يطلعك على ما في القلب، شاء صاحبه أم أبي.

قال يحيى بن معاذ: «القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها».

فانظر إلى الرجل حين يتكلم فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه، حلو وحامض، وعذب وأُجاج، وغير ذلك، وبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه، أي كما تطعم بلسانك طعم ما في القدور من الطعام فتدرك العلم بحقيقته، كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه، فتذوق ما في قلبه من لسانه كما تذوق ما في القدور بلسانك.

وفي حديث أنس المرفوع: « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه،

ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقد سأل معاذ النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم برأسه وعموده وذروة سنامه، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قال: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «كف عليك هذا» فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم ـ أو على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ومن العجب: أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقى لها بالاً ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب؛ وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول.

وإذا أردت أن تعرف ذلك فانظر فيما رواه مسلم في صحيحه من

حديث جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألَّى عليَّ أني لا أغفر لفلان؟ قد غفرت له وأحبطت عملك».

فهذا العابد الذي قد عبد الله ما شاء أن يعبده أحبطت هذه الكلمة الواحدة عمله كله.

وفي حديث أبي هريرة نحو ذلك، ثم قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في نار جهنم».

وعند مسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب».

وعند الترمذي من حديث بلال بن الحارث المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه. وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها سخطه

إلى يوم يلقاه».

وكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث؟

وفي جامع الترمذي أيضاً من حديث أنس قال: توفي رجل من الصحابة، فقال رجل: أبشر بالجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك؟ فلعله تكلم فيما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه» قال: حديث حسن.

وفي لفظ: أن غلاماً استشهد يوم أحد، فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئاً لك يا بني، لك الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضره».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يرفعه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

وفي لفظ لمسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت».

وذكر الترمذي بإسناد صحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في

الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» قلت: يا رسول الله ما أخوف ماتخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا» والحديث صحيح.

وعن أُم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو ذكر الله عز وجل» قال الترمذي: حديث حسن.

وفي حديث آخر: «إذا أصبح العبد فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتقِّ الله فينا فإنَّما نحن بك، فإذا استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا».

وقد كان السلف يحاسب أحدهم نفسه في قوله: يوم حار، ويوم بارد.

ولقد رؤي بعض الأكابر من أهل العلم في النوم فسُئِل عن حاله، فقال: أنا موقوف على كلمة قلتها، قلت: ما أحوج الناس إلي غيث، فقيل لي: وما يدريك؟ أنا أعلم بمصلحة عبادي.

وقال بعض الصحابة لجاريته يوماً: هاتي السفرة نعبث بها، ثم قال: أستغفر الله، ما أتكلم بكلمة إلا وأنا أخطمها وأزمها إلا هذه الكلمة خرجت مني بغير خطام ولا زمام أو كما قال.

و أضرُّ حركات الجوارح: حركة اللسان، وهي أضرها على العبد.

واختلف السلف والخلف: هل يكتب جميع ما يلفظ به أو الخير والشر فقط؟ على قولين: أظهرهما الأول.

وقال بعض السلف: كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ما كان من الله وما والاه.

وكان الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ يمسك على لسانه ويقول: هذا أوردني الموارد.

والكلام أسيرك؛ فإذا خرج من فيك صرت أنت أسيره. والله عند لسان كل قائل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ ق: ١٨.

وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثماً من الأُخرى في وقتها؛ فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاص لله، مراء مداهن إذا لم يخف على نفسه. والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته؛ فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط ـ وهم أهل الصراط المستقيم ـ كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة؛ فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة؛ فضلاً أن تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي

بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به»[1] انتهى.

وقال أيضاً: (ص/ ١٤٥ - ١٤٦) في نفوذ الشيطان إلى العبد منْ ثغرة اللسان:

(فصل: ثم يقول ـ أي الشيطان ـ: قوموا على ثغر اللسان؛ فإنه الثغر الأعظم، وهو قبالة الملك؛ فأجروا عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه، وامنعوه أن يجري عليه شيء مما ينفعه: من ذكر الله تعالى، واستغفاره، وتلاوة كتابه، ونصيحة عباده، والتكلم بالعلم النافع، ويكون لكم في هذا الثغر أمران عظيمان، لا تبالون بأيهما ظفرتم:

أحدهما: التكلم بالباطل؛ فإن المتكلم بالباطل أخ من إخوانكم ومن أكبر جندكم وأعوانكم.

والثاني: السكوت عن الحق؛ فإن الساكت عن الحق أخ لك أخرس، كما أن الأول أخ ناطق، وربما كان الأخ الثاني أنفع أخويكم لكم، أما سمعتم قول الناصح: «المتكلم بالباطل شيطان ناطق، والساكت عن الحق شيطان أخرس»؟

فالرباط الرباط على هذا الثغر أن يتكلم بحق أو يمسك عن باطل،

(١) (الجواب الكافي): (٢٣٠ـ ٢٣٤).

وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق، وخوفوه من التكلم بالحق بكل طريق.

واعلموا يا بني أن ثغر اللسان هو الذي أهلك منه بني آدم وأكبهم منه على مناخرهم في النار، فكم لي من قتيل وأسير وجريح أخذته من هذا الثغر؟

وأُوصيكم بوصية فاحفظوها: لينطق أحدكم على لسان أخيه من الإنس بالكلمة، ويكون الآخر على لسان السامع؛ فينطق باستحسانها وتعظيمها والتعجب منها، ويطلب من أخيه إعادتها، وكونوا أعواناً على الإنس بكل طريق، وادخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرْصد، أما سمعتم قسمي الذي أقسمت به لربهم حيث قلت: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ الأعراف: ١٦ - ١٧؟ أو ما تروني قد قعدت لابن آدم بطرُقه كلها، فلا يفوتني من طريق إلا قعدت له بطريق غيره، حتى أصيب منه حاجتي أو بعضها؟.. وهكذا فاقعدوا على سائر طرق الخير بالتنفير عنها وذكر صعوبتها وآفاتها، ثم اقعدوا لهم على طرق المعاصي فحسنوها في أعين بني آدم، وزينوها في قلوبهم، واجعلوا أكبر أعوانكم على ذلك النساء؛ فمن أبوابهن فادخلوا عليهم، فنعم العون هن لكم»[1].

(١) (الجواب الكافي): (١٤٦).

٣٦- إياك وآفات اللسان

عندما تتشكل الكلمة لا تعود ملكنا، ولا ندري إلى أين تمضي، وقد عرفت أن للكلمات السيئة تأثيراً سلبياً في حياتك، وقوة كبرى في جلب الشرور.. والأضرار.. والسيئات.. والفشل..والخيبة.. والمرض.. والألم.. والفقر..و الحسرة.. والحزن.. والعسر.. والقلق.. والتوتر.. والبلاء.. وجميع الأسواء..

فإياك وآفات اللسان وهي من الكثرة بمكان:

من الخوض في الكلام الباطل، وسب الزمان والدهر، والغيبة والنميمة، والكذب في اليقظة أو في المنام، وشهادة الزور، والقول على الله بغير علم، وسب الناس والحيونات والأمراض والأشياء، واللعن، والسخرية، والاستهزاء، والتعيير، والتنابز بالألقاب، والحلف الكذب، والحلف بغير الله.

وغير ذلك مما حرمه القرآن الكريم ونهت عنه السنة المطهرة.

٣٧- لا تعود لسانك كلمات السوء

العادة: سلوك مكتسب بالتكرار، ومن رحمة الله بالبشر أن قدر أن تكون حياتهم محكومة بسلسلة من العادات، فالله قد جعل في الإنسان قابلية التعود ليكون سلوكه تلقائياً، فمعظم نشاطه الذهني والحركي لا يتطلب منه تفكيراً جاداً، وإنما ينساب منه النشاط كما ينساب الماء مع مجراه، ولولا هذا الانسياب التلقائي لكانت الحياة شاقة بدرجة لا يمكن احتمالها...

إن العادة تتكوَّن بتكرار الفعل سواء حصل هذا التكرار امتصاصاً من البيئة واستجابة للمؤثرات، أو حصل بالتربية المنظّمة والمخططة من قبل المجتمع ومؤسسات التربية والإعلام والتدريب والعمل، أو حصل انقياداً لشهوات الفرد ورغباته وميوله، أو بتخطيط منه والتزاماً بخطة يضعها لتطوير ذاته وبناء قدراته، فالمرجع في ذلك هو التكرار لذلك...

(فالعادة) فعل يتكرر على وتيرة واحدة «إن اكتمال العادة يرفع عن الإنسان عبء الاهتمام وتركيز الانتباه فكل تكرار للفعل يضيف مزيداً من تلقائية أدائه إلى أن يصبح بمرور الوقت أداءً عفوياً ينساب من اللاوعي دون مشقة.. وفي الإنسان نزعة أو قابلية للتبرمج والتطبع...

أما الأساس الفزيولوجي لقابلية التعود عند الإنسان فيشرحه هاي روتشليس في كتابه(التفكير الواضح) حيث يؤكد أن تكرار الفعل لا تتكون منه حالة نفسية فقط، وإنما له تأثير عضوي فيزيولوجي، وفي ذلك يقول: «في كل مرة تقوم بعمل ما جسمياً كان أم عقلياً تجري سلسلة من النبضات الكهربية خلال مسارات محددة في المخ، وكلما كررت ذلك العمل أصبح انتقال تلك النبضات في طريقها المرسوم أيسر مما كان، إلى أن يأتي الوقت الذي تندفع فيه تلك النبضات بطريقة تلقائية دون حاجة إلى أي التفات منك، وهكذا تكون قد كوَّنْتَ عادة[1].

وعلى هذا، فلا ينبغي للإنسان أن يعود لسانه الكلمات السلبية، والألفاظ النابية، وقول السوء، فإن تكرير النطق السلبي قد يصير عادة يتعسر على الإنسان التخلصُ منها، ومن ثم تدفق الأحداث السلبية إلى حياته، وتنهمر المشكلات في معيشته، فعلى العاقل أن يعود لسانه الرفق في القول، والإيجابية في الكلمات، وذلك بمراقبة اللسان في النطق بالألفاظ، وحمله على التفوه بالطيب من الكلام، واجتناب السوء من الأقوال.

روى مالك عن يحيى بن سعيد «أن عيسى بن مريم لقي خنزيرا

(١) http://www.alriyadh.com/٢٠٠٤/١٢/١٢/article١١٤٢٧.html.

بالطريق، فقال له: انفذ بسلام! فقيل له: تقول هذا لخنزير!

فقال عيسى: إني أخاف أن أعود لساني بالنطق بالسوء»!

قال أبو عمر: إنما قيل ذلك لعيسى لأن الخنزير كثير الأذى لبني آدم في أموالهم من زروعهم وكرومهم[1].

وهذا ما عقله نقدة الرواة وعلماء الجرح والتعديل!

قالَ العلاّمةُ السخاوي رحِمَه الله: «وإذا أمكنه الجرحُ بالإشارةِ المفهِمةِ أو بأدنَى تصريحٍ لا تجوز لَه الزّيادةُ على ذلِك، فالأمورُ المُرَخّصُ فِيها للحاجةِ، لا يُرتقَى فيها إلى زائدٍ علَى ما يحصّل الغرضَ».

وقَد روَينا عن المزني قالَ: سمِعَني الشّافعيُّ يوماً وأنا أقولُ: فلانٌ كذّاب، فقالَ لي: يا أباَ إبراهيمَ، اُكْسُ ألفاظَك أحسنَها، لا تقُل: كذّاب، ولكِن قُل: حديثُه ليسَ بشيءٍ.

ونحوُه أنّ البخاريَّ كانَ لمزيدِ ورعِه قلّ أن يقوَل: كذّابٌ أو وضّاعٌ، أكثرُ ما يقول: سكتُوا عَنه، فيهِ نظَر، تركُوه، ونحوُ هذا»[2].

(١) الاستذكار:(٨/ ٥٥٣)

(٢) الإعلام بالتوبيخ (١٢٤-١٢٥).

٣٨- تكلم بخير أو اسكت

قولُ الخير والصمت عما سواه، مِنْ خصال الإيمان، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»[(١)].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، المتفق على صحته، عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

«وهذا الحديث أصلٌ عظيم من أصول الأدب، وقد حكى الإمامُ أبو عمرو بن الصلاح، عن أبي محمد بن أبي زيد إمام المالكية في زمانه أنَّه قال: جماعُ آداب الخير وأزمته تتفرَّعُ من أربعة أحاديث: قول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤمنُ بالله واليومِ الآخر فليَقُلْ خيراً أو ليَصْمُتْ»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «مِنْ حُسْنِ إسلامِ المَرءِ تَركُهُ ما لا يَعْنِيهِ»، وقوله للذي اختصر له في الوصية: «لا تَغْضَبْ»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «المُؤْمِنُ يحُبُّ لأخيه ما يحُبُّ لنفسه»[(٢)].

---

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد (٦٤٨١) والترمذي: (٢٥٠١).

(٢) جامع العلوم والحكم: (٣/ ١٤).

وقال رجل لسلمان: أوصني، قال: لا تكلَّم، قال: ما يستطيعُ من عاش في الناس أنْ لا يتكلم، قال: فإنْ تكلَّمت، فتكلم بحقٍّ أو اسكُت.

وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يأخذ بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد.

وقال ابن مسعود: والله الذي لا إله إلا هو، ما على الأرض أحقُّ بطول سجنٍ مِنَ اللِّسانِ.

وقال وهب بن منبه: أجمعت الحكماءُ على أنَّ رأسَ الحكمِ الصمتُ.

وقال شميط بن عجلان: يا ابن آدم، إنَّك ما سكتَّ، فأنت سالمٌ، فإذا تكلمت، فخذ حِذرَك، إمَّا لك وإمَّا عليك.

قال أبو حاتم رحمه الله: طلب رجلان العلم، فلما علما صمت أحدهما وتكلم الآخر، فكتب المتكلم إلى الصامت:

وما شيءٌ أردتُ به اكتساباً بأجمع في المعيشة من لسانِ

فكتب إليه الصامت:

وما شيء أردت به كمالاً أحقُّ بطول سجنٍ من لسانِ

وتذاكروا عندَ الأحنفِ بنِ قيس، أيُّما أفضل الصمتُ أو النطقُ؟ فقالَ قوم: الصمتُ أفضلُ، فقالَ الأحنفُ: النطقُ أفضل؛ لأنَّ فضلَ الصمت لا يعدو صاحبَه، والمنطق الحسن ينتفع به مَنْ سَمِعَهُ .

وقال رجلٌ من العلماء عند عمرَ بنِ عبد العزيز رحمه الله: الصَّامت على علمٍ كالمتكلم على علمٍ، فقال عمر: إنِّي لأرجو أنْ يكونَ المتكلمُ على علمٍ أفضلهما يوم القيامة حالاً، وذلك أنَّ منفعته للناس، وهذا صمتُه لنفسه، فقال له: يا أمير المؤمنين وكيف بفتنة المنطق؟ فبكى عمرُ عند ذلك بكاءً شديداً.

ولقد خطب عمر بن عبد العزيز يوماً فرقَّ الناسُ وبكَوا، فقطع خطبته، فقيل له: لو أتممتَ كلامك رجونا أنْ ينفعَ الله به، فقال عمر: إنَّ القولَ فتنة والفعل أولى بالمؤمن من القول .

قالوا: أكثر ما تعرض الآفات للحيوان إنما تعرض لعدمها الكلام، وتعرض للإنسان من قبل الكلام.

وقالوا: ربَّ كلمةٍ تقول: دعني، ورب كلمة سلبت نعمةً.

وقال أبو العتاهية:

لا خيرَ في حشو الكلا ... مِ إذا اهتديتَ إلى عيونهْ

والصمتُ أجملُ بالفتى ... من منطقٍ في غير حينهْ

وقال آخر:

تعهد لسانك إن اللسان ... سريعٌ إلى المرء في قتلِهِ

وهذا اللسان بريد الفؤادِ ... يدلُّ الرجال على عقلِهِ

وقال آخر:

استر العيَّ ما استطعت بصمتٍ إن في الصمت راحةً للصموتِ
واجعل الصمت إن عييتَ جواباً ربَّ قولٍ جوابه في السكوتِ

وقال آخر:

متى تطبق على شفتيك تسلمْ وإن تفتحهما فقل الصوابا
فما أحد يطيل الصمت إلا سيأمن أن يُذَمَّ وأن يُعابا[1].

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ـ (١/ ٨٠).

فهرس الموضوعات

١- كيف سيغير هذا الكتاب من حياتك؟
٢- نعمة الكلمات
٣- قوة الكلمات لغة
٤- الأدلة على قوة الكلمات وتأثيرها
٥- تأثير الأسماء
٦- قوة الكلمات في الأمثال
٧- الطفرة العلمية تثبت قوة الكلمات
٨- تأثير الكلمات على الماء
٩- تأثير الكلمات على النباتات
١٠- قوة الكلمات التأثيرية على المخ
١١- قدرة الكلمات على التحفيز
١٢- أقوى الكلمات تأثيراً: ذكر الله
١٣- كلمات القرآن الأعظم تأثيرا والأشد قوة
١٤- تأثير كلمات القرآن على غير المسلمين
١٥- تأثير كلمات القرآن على وظائف أعضاء الجسم البشري
١٦- تأثير كلمات الدعاء / تجربتي

١٧- تأثير الكلمات في تعبير المنامات
١٨- قوة التبشير بالكلمات
١٩- قوة التفاؤل بالكلمات
٢٠- (البلاء موكول بالمنطق)
٢١- قوة كلمات العيب
٢٢- كيف تؤثر الكلمات
٢٣- جاء الإسلام وغير الكلمات
٢٤- صحتك بالكلمات
٢٥- العلاج بالكلمات الحلوة
٢٦- الأحكام بالكلمات
٢٧- أيها الدعاة: زينوا دعوتكم بحسن الكلمات
٢٨- نجاح حياتك الأسرية بالكلمات
٢٩- تمتع بعلاقات ـيبة مع الناس بكلماتك
٣٠- حسِّن كلماتك
٣١- عواقب الكلمات الطيبة
٣٢- عواقب الكلمات الخبيثة
٣٣- اجتنب الكلمات السلبية في حياتك

٣٤- قابل الكلمات السيئة بكلمات حسنة

٣٥- كيف تحفظ كلماتك؟

٣٦- إياك وآفات اللسان

٣٧- لا تعود لسانك كلمات السوء

٣٨- تكلم بخير أو اسكت